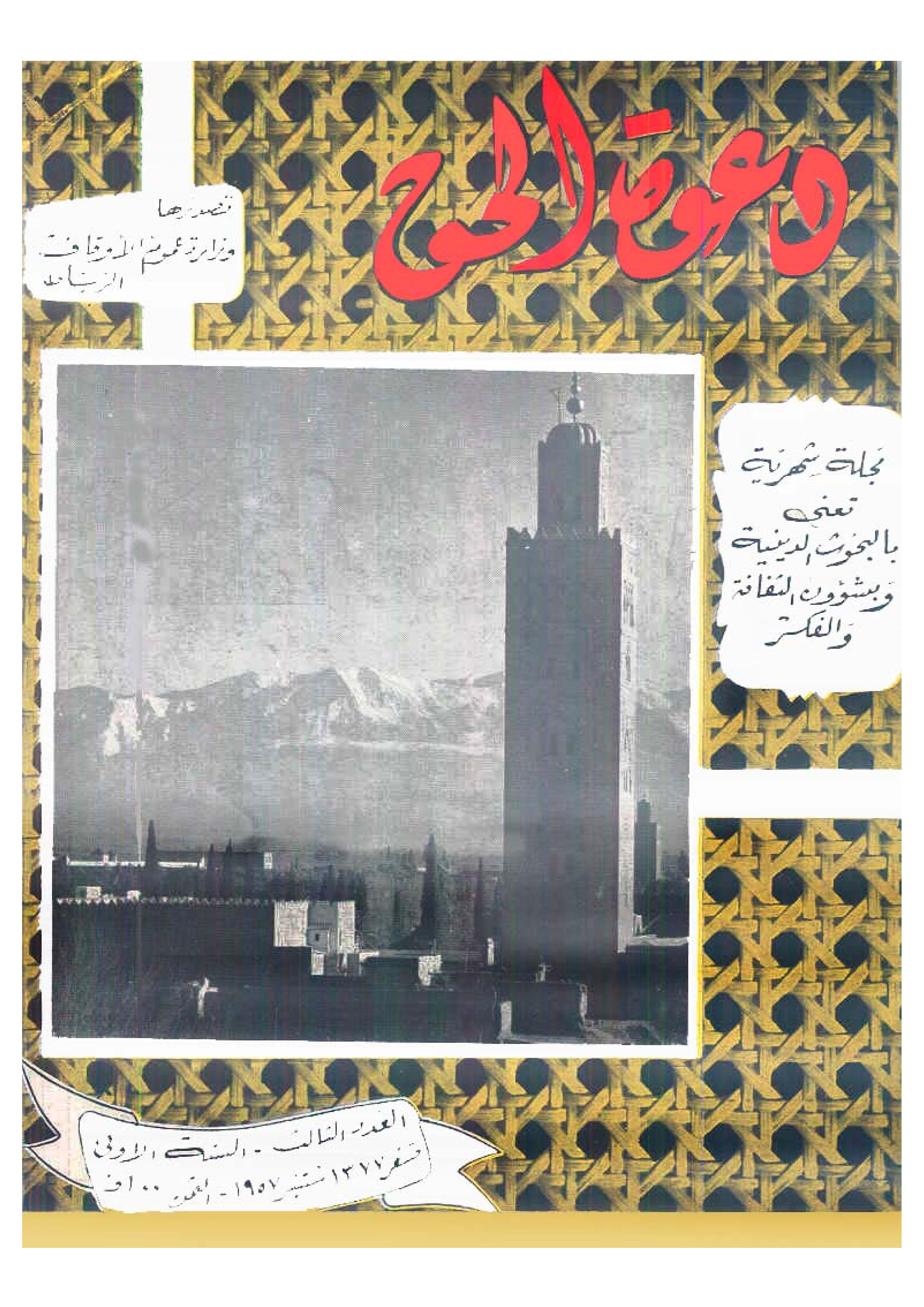

دعوة الحق
تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
الرباط
مجلة شهرية
تعنى
بالبحوث الدينية
وبشؤون الثقافة
والفكر
العدد الثالث - السنة الأولى
صفر ١٣٧٧ شتنبر ١٩٥٧ - الثمن ١٠٠ ف



صومعة الكتبية بمدينة مراكش ومن ورائها جبال الاطلس مكسوة بالثلوج وهي عنوان على ما وصلت اليه العبقرية المغربية في القرن الثاني عشر وتعد مع اختيها صومعة حسان بالرباط وصومعة جامع اشبيلية بالاندلس ــ من المفاخر الفنية للعصر الموحدي



في مقابلة خاصة مع الاستاذ العلامة السيد عبد الله كنون على اثر عودته من الديار المقدسة ، هنأنا سيادته بسلامة العودة ، ودار الحديث حول مجلة (دعوة الحق) وحول الدور الاصلاحي الثقافي الذي يمكنها ان تقوم بـه لا في المغرب فقط ، ولكن في العالم الاسلامي قاطبة .

تحدث الينا الاستاذ عن جماعة من كبار علماء الاسلام قابلوا سيادته في موسم الحج ، وتحدثوا اليه عن الرسائل التي وصلتهم من مجلة (دعوة الحق) تدعوهم فيها للمساهمة بالكتابة والبحث في تجديد الدعوة الاسلامية ، ونفي الشبهات عنها ، وتوثيق الصلات بين مختلف اجزاء العالم الاسلامي عن طريق تبادل الآراء ، ووضع المشكلات العامة على بساط البحث . وقد ذكر لنـا الاستاذ ان بعض هؤلاء العماء الذين قابلوه وعدوا بالكتابة .

لقد نشرنا في العدد الاول مقالا من سورية ، بعث به الينـا الاستاذ مصطفى احمد الزرقا ، استاذ القانون المدني والشريعة الاسلامية بالجامعة السورية ، وننشر في هذا العدد مقالا فيما بعث به الينا من باكستان ، العلامة السيد ابو الاعلى المودودي ، امير الجماعة الاسلامية بباكستان ، ونحن نامل الا يخلو اي عدد من اعدادنا من مقال او مقالات متعددة يحررها اعلام الكتاب من مختلف البلاد الاسلامية .

ان العالم الاسلامي ــ كما اكد لنا العلامة السيد عبد الله كنون ــ متطلع كله الى المغرب ، يتتبع اخباره وتطوره وحركاته ، وهو معجب اعجابا لا حد له بجلالة ملكنا سيدي محمد الخامس نصره الله وينتظر ان يحقق الله على يديه كثيرا من الآمال .

اما فيما يخص هذه المجلة ، فقد اكد لنا الاستاذ كنون ، انها قد حظيت باعجاب الذين اتيح لهم ان يطلعوا عليها من اخواننا في الشرق ، وان الاوساط الثقافية ، والمهتمين بشؤون الاصلاح ينتظرونها هناك بفارغ الصبر .

لقد اصبح يبدو ان من المنتظر ان تسد هذه المجلة فراغا كبيرا ، لا هنا في المغرب فقط ، ولكن في الشرق الاسلامي كله .

اما الفراغ الذي ستسده هنا فبالعمل على خلق حركة فكرية ثقافية اصلاحية .

واما الفراغ الذي ينتظر ان تسده في الشرق فباطلاع اخواننا هناك على اتجاهاتنا الثقافية ، ونوع تفكيرنا ، ومدى رغبتنا في الاصلاح ، ونشاطنـا في العمل من اجله .

اما ما يمكن للقائمين على هذه المجلة ان يفعلوه من اجل تحقيق كل هذه الغايات ، فانما هو ان يعلموا ان يدعوا الجميع للعمل ، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون) .

دعوة الحق





الحياة بعد الموت

للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان
نقله إلى العربية محمد عاصم الحداد

هل للانسان بعد موته حياة اخرى ؟ وان كانت ، فمن اي نوع هي ؟

هذا سؤال لا يمكن ان ينتهي الى كنهه علم الانسان لانه ليست عنده عين يبصر بها ويطلع على ما وراء حد الموت ولا سمع يسمع بها صوته ولا آلة من الآلات يعرف بها ما فيه على وجه اليقين والتحقيق . كأن هذا السؤال خارج من دائرة العلوم التجريبية (Sciences) والذي يقول مستندا اليها ان الانسان لا حياة له بعد موته ، انما يقول مالا علاقة له بتلك العلوم ، فانها اذا كانت لا تقول بالحياة بعد الموت ولا تقر بها ، فانها فى الوقت ذاته لا تنفيها ولا تجحد بها . فالحق ان الانسان ما دام لا يجد وسيلة للعلم يقينية قاطعة ، لا يسعه الانكار للحياة بعد الموت ولا الاقرار بها بموجب العلوم التجريبية .

ولكن هل من الممكن ان يجارينا هذا السلوك العلمي (Scientif. Attitude) فى حياتنا العملية ؟ لعله لا يمكن بل اليقين انه لا يمكن ابدا ؟ نعم ، من الممكن من الوجهة العقلية اذا لم يكن بيدنا وسيلة الى معرفة شيء ان نحترز من نفيه واثباته ، ولكن اذا كانت لهذا الشيء علاقة بحياتنا العملية ، فلا مندوحة لنا فى شأنه من ان نبني اعمالنا ومنهاج حياتنا اما على انكاره او الاقرار به . ذلك باننا اذا كنا لا نعرف رجلا ولا نريد ان نشاركه فى معاملة من المعاملات فلا علينا اذا لم نحكم عليه بشيء : لا بالامانة ولا بالخيانة . واما اذا لم نجد بدا من مشاركة الرجل فى معاملة من المعاملات ، فلا بد لنا ان نشاركه اما على تقدير انه رجل يرعى الامانة او على تقدير انه رجل فيه الخيانة . وان قلنا اننا نشاركه على تحذر وتردد ، فالحقيقة ان الصورة العملية لهذه المشاركة لا تكون مختلفة عنها لو شاركناه على انكار امانته بالمرة ، كأن هذه الحالة ــ حالة التردد بين انكار شيء والاقرار به ــ لا يمكن ان تكون الا فى الذهن فقط. اما السلوك العلمي فلا يمكن ان يقوم على الريب والتردد وليس له بد من الانكار او الاقرار .

واذا تفكرت قليلا ، عرفت ان مسألة الحياة بعد الموت ليست بمسألة فلسفية فحسب بل انها من المسائل الاساسية التي لها صلة وثيقة مباشرة بحياة الانسان العملية وتتوقف عليها استقامة سلوكه الخلقي او اعوجاجه فى هذه الدنيا . فاذا كنت تعتقد مثلا ان الدنيا لهي الحيوان ولا حياة لك بعد الموت ، كان سلوكك الخلقي مغايرا لسلوكك لو كنت تحسب انك بعد مفارقتك لهذه الدنيا ، ستفضي الى حياة تحاسب فيها على كل صغيرة وكبيرة من اعمالك التي قدمتها فى حياتك الحاضرة وان حسن عاقبتك فيها او سوءها انما يتوقف على حسن اعمالك او سوئها فى هذه الدنيا . ومثل ذلك كمثل رجلين مسافرين الى جهة الرباط ، اما احدهما فيحسب ان سفره بعدوصوله الى الرباط، لاينتهي فحسب ، بل سيامن فيها ايضا من مؤاخذة الشرطة والمحكمة وكل قوة يمكن ان تحاسبه على اعماله وما ارتكب من الجرائم قبل وصوله الى الرباط . اما الآخر فيحسب ان السفر الى الرباط انما هو مرحلة من مراحل سفره العديدة وهو بعد وصوله الى الرباط سينتهي الى ارض لا يحكمها الا السلطان نفسه الذي يحكم المغرب ، وان هذا السلطان فى مكتبه كتاب قد سجل فيه كل صغيرة او او كبيرة من اعماله التي جاء بها ايام وجوده فى المغرب ، وهو سيحاسبه عليها ولا يقضي فى امره وفى الدرجة التي يستحقها فى تلك الارض الاحسب ما سيجد عليه اعماله من الحسن او القبح . لك ان تقدر الان بكل سهولة اي فرق كبير وبون شاسع سيكون بين اعمال الرجلين واخلاقهما : لا يستعد الاول الا للسفر الى الرباط . واما الاخر فلا يستعد للسفر الى الرباط فحسب ، بل يستعد كذلك للمراحل الشاقة الطويلة التي سيقطعها بعد المرور على الرباط ويفكر فى مآله الذي سيصير اليه آخر الامر .

يحسب الاول ان النفع كله والخسران كله انما هو قبل وصوله الى الرباط ، واذا وصل اليها فلا نفع ولا خسران. واما الاخر فيحسب ان ليس النفع والخسران الحقيقي فى مرحلته الاولى،

بل هو فى مرحلته التي سينتهي اليها آخر الامر . ان الاول لا يكترث ولا يقيم وزنا الا لنتائج اعماله التي عسى ان يراها قبل وصوله الى الرباط . واما الآخر فيجعل نصب عينيه دائما النتائج التي سيراها فى الارض التي سيبلغها عند انتهاء سفره . والظاهر ان هذا الفرق الكبير بين اخلاق الرجلين واعمالهما ، ان هو الا نتيجة مباشرة لما يعتقد ان من النوع المختلف لسفرهما . فكذلك ان كل عقيدة يكون عليها الانسان عن مصيره بعد الموت ، لها تاثير بالغ فيصل فى كل ما ياتي به فى حياته من الاعمال والاخلاق وهو لا يتقدم فى ميدان العمل خطوة الا ويكون تعين جهتها متوقفا على : هل ياتي بكل ما ياتي به من الاعمال فى حياته الدنيا على انها هي حياته الاولى والاخرة وليس له ولا عليه شيء بعد الموت ، ام على انه سيفضي بعد موته الى حياة سرمدية اخرى ويرى فيها نتائجها ويقطف ثمارها حتما؟ فهو ان كان يتقدم الى جهة فى الصورة الاولى يتقدم الى جهة تخالفها تماما فى الصورة الاخرى .

واذا عرفنا هذا ، قلنا ان نقول ان مسألة الحياة بعد الموت ليست بمسألة عقلية فارغة او فلسفية جوفاء، بل هي مسألة حياتنا العملية. واذا كان الامر كذلك ، فلا يمكننا ابدا ان نبقى فى حياتنا مرتابين مترددين فى هذه المسألة الاساسية ، لان كل سلوك نختاره فى حياتنا مع التردد والارتياب ، لا يكون من حيث مظهره ونتائجه الا مثل سلوك الانكار المحض ، فنحن مرغمون بطبيعة وجودنا وحياتنا فى الدنيا على ان نقطع فى هذه المسألة براي حاسم اما بالاثبات او النفي ، فان كانت العلوم التجريبية لا تساعدنا بشيء ، فلا بد لنا ان نستعين بمالنا من العقل وقوة الفهم والتبصر .

وتعال لنستعرض الان ما عندنا من المواد للاستدلال العقلي :

امامنا الانسان فى جانب ، ونظام الكون الذي يعيش فيه فى الجانب الآخر . فعلينا ان نضع الانسان فى هذا النظام وننظر . هل تتحقق فى هذا النظام مقتضيات كل شيء فى الانسان ام يبقى فيه شيء لا تتحقق مقتضياته فيه وهو فى حاجة الى نظام من نوع آخر .؟

انظر .... ان الانسان – اولا – جسد يتركب من بعض المعادن والغازات والملاح والماء . وبازائه فى الكون انواع اخرى من المعادن والملاح والاتربة والجبال والانهار وما اليها من الاشياء من هذا الجنس. والقوانين التي تحتاج اليها هذه الاشياء فى القيام باعمالها ، كلها جارية فى الكون ، وهي كما تعين الجبال والانهار والرياح على القيام بنصيبها من الاعمال خارج الانسان ، كذلك تعين الجسد الانساني على القيام بعمله .

والانسان – بعد ذلك – جسد ينمو ويكبر متغذيا مما حوله من الاشياء كالهواء والماء . وبازائه هناك من جنسه الاشجار والاعشاب والنباتات الاخرى فى الكون تنمو وتكبر متغذية مما حولها . فكما ان سنن الطبيعة ونواميس الكون تنمو تحتها الاشجار والاعشاب والنباتات ، ينمو تحتها الجسد الانساني كذلك .

والانسان بعد هذا وذاك جسد يتحرك بارادته وينال غذاءه بالسعي والجهد ويدافع عن نفسه ويهتم بالابقاء على نسله ، وبازائه فى الكون كثير من انواع هذا الجنس نفسه كالحيوانات فى البر والبحر والفضاء . فكما ان قوانين الطبيعة تعين هذه الحيوانات على الحياة والبقاء ، تعين عليهما الجسد الانساني ايضا بدون نقص ولا تقصير .

ولكن .... فوق كل ذلك ان للانسان وجودا من نوع آخر نسميه الوجود الخلقي . ان الانسان فيه الشعور بالخير والشر وهو يميز بينهما ويقدر على فعلهما ، ومما تطالب به فطرته ان تظهر النتائج الحسنة ان فعل الخير والنتائج القبيحة ان جاء بالشر ، وهو يفرق بين العدل والظلم والصدق والكذب والحق والباطل والرحمة والقسوة والاحسان والاساءة والسخاء والبخل والوفاء والغدر وما اليها من الصفات الخلقية الاخرى وهي توجد فى حياته بالفعل وليست بامور من بنات الفكر والخيال المحض ، فالذي تستدعيه بشدة الفطرة التي فطر عليها الانسان ان تظهر لاعماله نتائجها الخلقية كما تظهر نتائجها الطبيعية .

ولكن هل لك ان تقول بعد اطالة نظرك فى نظام الكون ، انه من الممكن ان تظهر فى هذا النظام لافعال الانسان نتائجها الخلقية على الوجه الكامل ؟ لعمر الحق ان ذلك مستحيل البتة لان هذا الكون ليس فيه – الى حد علمنا – خلق له وجود خلقي غير الانسان ولا يسير نظامه من اوله الى آخره الا على القوانين الطبيعية المحضة حيث ليس للقوانين الخلقية دخل ما فى ناحية من نواحيه . ان قطعة صغيرة من الذهب لها قيمة ووزن فى هذا الكون ولكن لا قيمة ولا وزن للصدق والامانة ، واذا ما غرست فيه بذرة القمح فانك لا تحصد منها الا القمح ، ولكن اذا غرست فيه الصدق والامانة فقلما تحصد منها المدح والثناء وكثيرا ما تحصد منها الذم واللومة والاستهزاء والعقاب . ان العناصر المادية لها قوانين مضبوطة معينة فى هذا الكون ، ولكن لا قانون فيه للعناصر الخلقية ، وقليلا ما تظهر فيه لاعمال الانسان نتائجها الخلقية لما عليه من السيطرة والتأثير للقوانين الطبيعية وهي ان ظهرت بعض الاحيان فانما تظهر على قدر ما تسمح لها بالظهور

القوانين الطبيعية نفسها . وطالما تستدعي الاخلاق ان تظهر لعمل من اعمال الانسان نتيجة خاصة ، ولكنها لا تظهر الا منقلبة بالمرة ، وذلك لما فيه من التدخل وعليه من السيطرة للقوانين الطبيعية . نعم ، لا شك ان الانسان قد يذل بعض سعيه بواسطة نظامه الاجتماعي والسياسي لان تظهر النتائج الخلقية لاعماله وفقا لقاعدة معينة ، ولكن الحقيقة ان ليس سعي الانسان هذا الا على نطاق ضيق محدود جدا وهو فى غاية النقص والعيب . ففي جانب تجعله ناقصا قوانين الطبيعة ، وفى الجانب الاخر يزيده نقصا الى نقصه وعيبا الى عيبه ما فى نفس الانسان من مواطن الضعف .

وها انا ذا اريد ان اشرح لك ما قد بينته للآن ببعض الامثلة :

ان رجلا يبغض رجلا آخر ويعاديه . فاذا احرق بيته ، فان النتيجة الطبيعية لعمله ان يحترق ذلك البيت ،واما نتيجته الخلقية ، فانما يتوقف ظهورها على ان يعثر على الرجل الذي احرق البيت ، ثم على ان تقبض عليه الشرطة ، ثم على ان تثبت عليه الجريمة ، ثم على ان تقدر المحكمة تقديرا محكما قاطعا ما لحق باهل ذلك البيت وسلالاتهم المتعاقبة من الضرر والخسارة لاجل جريمته ، ثم على ان تحكم عليه المحكمة بما يساوي جريمته من العقاب . فتلك هي الشروط التي لا بد من استيفائها وتحقيقها لظهور النتيجة الخلقية لهذا الفعل الواحد من افعال الانسان ، حيث اذا تخلف منها شرط ولم يتحقق على الوجه الصحيح الكامل ، فاما ان لا تظهر النتيجة الخلقية اصلا او يظهر منها جزء ضئيل جدا . على انه ليس من المستبعد فى هذا النظام ان الجاني بعد ابادة خصمه وافنائه يسلم من المؤاخذة ويبقى طول حياته فرحا لا يخاف احدا ولا يخشى عقابا .

ولك ان تاخذ الآن مثالا آخر على نطاق اوسع :

ان عصابة من الناس يخلقون لانفسهم التاثير والنفوذ فى شعبهم ويستحوذون عليه حسب ما تامرهم به شهواتهم وامانيهم . ثم يستغلون هذا الوضع وينفثون فى شعبهم روح القومية والوطنية ويحرضونه على فتح العالم واستعباد اممه وشعوبه ، ثم ينشبون الحرب على ما يجاورهم من الشعوب ويهلكون فيها الحرث والنسل ويطيلون الايدي بالنهب والسلب : يقتلون مآت الالوف من خلق الله ويشردون آلاف الالوف منهم من ديارهم ويستعبدونهم ويرغمونهم على العيش الذليل المهان ، واعمالهم هذه قد تطول آثارها السيئة فى الاجيال المتعاقبة الى آلاف مؤلفة من السنين ؛ فهل تظن انه من الممكن ان ينال هؤلاء الافراد القليلون جزاءهم فى هذه الحياة الدنيا كاملا مساويا لفداحة جرائمهم وجسامة المضار التي الحقوها بخلق الله لا لشيء الا لبلوغ مطامعهم الاستعمارية الجشعة ؟ كلا ، فان ذلك من المستحيل بحكم القوانين الطبيعية التي يجري عليها نظام الكون ولو قتلوا تقتيلا واحرقوا احياء وعوقبوا باقسى ما يستطيع الانسان ويخطر بباله .

وخذ كذلك اولئك الصالحين الابرار الذين خدموا النوع البشري وعلموه الخير واناروا له طريق الرشد والصدق والسلام وما زالت الاجيال المتعاقبة منذ آلاف من السنين — ولا يعلم الا الله الى كم آلاف من السنين لا تزال — تقتبس من نورهم وتقتدي بآثارهم وتستهدي باعمالهم .

فهل من الممكن بوجه من الوجوه ان ينالوا جزاءهم على اعمالهم وخدماتهم كاملا فى حياتهم الدنيا ؟ وهل تظن انه من الممكن فى ضمن حدود القوانين الطبيعية التي يجري عليها نظام الكون الحاضر ، ان ينال الرجل جزاء كاملا غير منقوص على عمل من اعماله ترك تاثيره فى عدد لا يحصى من خلق الله وطال رد فعله الى آلاف من السنين بعد موته ؟

فكما قد تبين لك آنفا ، ان قوانين الطبيعة التي يسير عليها نظام الكون الحاضر ، لا تتسع لان تترتب فيها النتائج الخلقية لاعمال الانسان على الوجه الكامل ثم ان كل عمل ياتي به الانسان فى حياته القصيرة هذه تكون دائرة رد فعله واسعة جدا وقد تطول سلسلته الى مدة مديدة حتى ليحتاج الانسان لاقتناء ثمراته والحصول على نتائجها الكاملة ان يعمر آلافا بل مآت آلاف من السنين ، وذلك ما لا يمكن ان يتحقق تحت القوانين الطبيعية . وتعرف من ذلك ان هذه الدنيا وقوانينها الطبيعية وان كانت كافية واسعة لما فى ذات الانسان من العنصر الجمادي والعنصر النباتي والعنصر الحيواني ولكنها لا تكاد تكفي لعنصره الخلقي وهو فى حاجة الى نظام للكون آخر لا يكون القانون الحاكم Governing Low فيه الا القانون الخلقي ولا تعمل فيه القوانين الطبيعية الا مساعدة له ؛ ولا تكون الحياة فيه محدودة ليترتب كل ما كان لم يترتب او انما كان ترتب منقلبا فى الحياة الدنيا الطبيعية من نتائج اعمال الانسان ، ويكون الوزن والقيمة فيه للصدق والحق دون الذهب والفضة ولا تحرق فيه النار الا ما كان مستحقا للاحتراق اخلاقا ولا ينال السعادة والنعيم والامن والرفاهية فيه الا من كان صالحا ولا الضيق والعذاب الا من كان فاجرا — ان هذا النظام لمن عين ما يقتضيه عقل الانسان وتطالب به فطرته .

انظر البقية على الصفحة 8

ثورة على الاوقاف

للاستاذ
عبد الكريم غلاب

على رسلك .....

قلت انا الثائر ، وليست الاوقاف في المغرب هي التي استهدفت للثورة . وانما مجال الثورة كان هو الشق الآخر من بلاد المغرب العربي : هو تونس .

ثارت ثورتها الاولى على الاوقاف العامة، واستمرارا في سياسة المراحل ثارت ثورتها الثانية على الاوقاف الخاصة والمشتركة .

كانت الثورة الاولى في 31 مايو من سنة 1956 ضد الاوقاف التي تصرف فائدتها للاسعاف والصحة والتعليم والشعائر الدينية ، وقد حولت اموال هذه الاوقاف المنقول منها والثابت — الى الدولة والحقت بالميزانية العامة، وتكفلت الدولة بالانفاق على المشروعات التي كانت تستفيد من الاوقاف .

ثم صدر امر آخر في 18 يوليه الماضي 1957 يمنع الاوقاف الخاصة والمشتركة ، ويحدد مصير الاوقاف الموجودة فحلت الملكية محل الوقف (وتحررت مئات الآلاف من الهكتارات الفلاحية من قيود الوقف المضروبة على حرية استثمارها ، وامكانية تداولها ، واقر جانب كبير من اهل البادية باراضي الاوقاف في مقابل ما قاموا به من احياء مواتها وما صرفوه عليها من مجهوداتهم المضنية تشجيعا لهم على تكوين ازدهار اقتصادي يفيد البلاد اكثر من استفادة المستحق للوقف بمثاب ضئيل لا يسمن ولا يغني من جوع (1)

والثورة كانت منطقية ومعقولة اذا نظر الى الاوقاف على ان لها هدفا اقتصاديا واجتماعيا ، واذا نظر الى الموقوفات على ان لها اثرا في النظام الاقتصادي والاجتماعي . وكانت معقولة ايضا اذا بحث موضوع الاوقاف بفكر جديد متحرر واقعي لا تشغله كلمة المحبس بقدر ما يهتم للهدف الذي يرمي اليه المحبس ، ولا يعنى بالشكل بمقدار ما يهتم بواقع الامر وحقيقة المصير الذي آلت اليه الاوقاف وما تحدثه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية من خلل كان يراد منها ان تصلحه ، وما تحدثه بين المستحقين من نزاع وخصومات لم تكن هدف الواقف ولا الغاية من اريحيته واحسانه.

واذن فكل الظروف التي تمت فيها الثورتان التونسيتان على الوقف كانت شفيعا للثائرين وحجة سليمة عند النقاش او الجدل لو كان الامر عندهم محط نقاش او جدل .

والامر عندنا — بالطبع — على غير ما هو في تونس ، فان الاوقاف العامة من المتانة والقوة بحيث لا تنال منها زعازع الثورات المجاورة ، كانت الاوقاف على عهد ما قبل الحماية — واحسب انها لا تزال — غنية مشبعة بالغنى واليسر . وكانت — واحسب انها لا تزال — تؤدي خدمة كبرى في المجال الاجتماعي والديني . وكانت — واحسب انها لا تزال — تتمتع بشيء من الحصانة الصوفية المنبعثة من الروح الدينية التي املت على الواقفين ان يتبرعوا باموالهم وعقاراتهم حتى ان المستفيدين كانوا يقنعون بالقليل وان بلغ هذا القليل عشر فرنكات شهريا في بعض العهود .

رغم كل هذه الحصانة ، فان الاوقاف استهدفت لاضطراب مادي ومعنوي كان بعضه مما سببته الحماية وكان معظمه مما سببه سوء التصرف وسوء الفهم لمهمة الاوقاف ولما ينبغي ان تقوم به .

والذي اعتقده ان عهد الاستقلال قد يستطيع ان يقضي على سوء التصرف فلا يلي امر الاوقاف سواء أكانت من الاوقاف العامة او الخاصة — الا من توفرت فيهم شروط النزاهة والمقدرة ، ولست اعني المقدرة الادارية فحسب ، ولكنني اعني الى جانبها المقدرة الفكرية ايضا ، فان ناظر الاوقاف اذا لم يستطع ان

---

(1) من تقرير وزير العدل التونسي عن قرار الغاء الوقف الخاص والمشترك .

يفكر في مهمة الوقف ، واذا لم يستطع ان يدرك اسرار التشريع الذي قد تصدره وزارة الاوقاف لبعث الروح التي انشئت من اجلها الاوقاف ، اذا لم يستطع ذلك فقد لا يصلح لان يلي امر الاوقاف في العهد الجديد .

اما عن سوء الفهم لمهمة الاوقاف ، فاحسب ايضا ان عهد الاستقلال كفيل بالقضاء على ما كان يغمر عقلية المسيطرين على الاوقاف من جمود وانحراف ، فالاستقلال ليس حرية وسيادة فحسب ، ولكنه تطور في العقلية والفهم لجميع مقدراتنا وامكانياتنا كأمة عريقة في المجد متطلعة الى مستقبل امجد .

والشيء الذي اعتقده كنتيجة لتحرر عقلية الاوقاف ان الاتجاه سيسير الى تحقيق الاهداف البعيدة من الاوقاف العامة والخاصة ولو لم ينص على ذلك « لفظ المحبس » وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (انما الاعمال بالنيات) ولم يقل بالاقوال ولهذا فان عمل الاوقاف في ميدان الاسعاف قد يتسع الى انشاء مستشفيات او عيادات شعبية ، وفي المدن والقرى الفقيرة على الاخص ، لتضمن اسعاف المصابين والمرضى والحاملات والوالدات وتقديم الدواء وتعهد المسعفين والمسعفات بالارشاد والصيانة . ان وزارة الصحة قد لا تستطيع ان تقوم بكل ما يتطلبه منها شعب مريض فقير . والاوقاف يجب الا تقصر همتها عن هذا الاسعاف الضروري .

والاسعاف المالي ميدان فسيح للاوقاف ، ولكنه ينفذ في شكل صدقة وبصورة مزرية واولى باسعاف الاوقاف ان ينظم تنظيما حديثا تستفيد فيه وزارة الاوقاف من تجارب وزارة الشؤون الاجتماعية في العالم، وقد يكون ذلك عبئا ملقى على وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية ، ولكن ميدان الاسعاف افسح من ان يسعه نشاط وزارة واحدة ميزانيتها محدودة وميدان عملها يتصل بالعمل والعمال وشؤونهم الاجتماعية اكثر مما يتصل بمقاومة الفقر واسعاف الفقراء في غير ميدان العمل . ولعل تنسيق العمل بين الوزارتين كفيل بتحقيق التعاون في ميدان الاسعاف الاجتماعي .

اما الشؤون الدينية ورعاية المساجد واماكن التعبد، فلعل وزارة الاوقاف اكثر ادراكا للنقص الذي تبدو فيه المظاهر الدينية والمساجد وتلاوة القرآن (الحزب) بالصورة المشوهة الغريبة التي تسيء الى القرآن والدين اكثر مما تحسن ، ثم الواجبات الدينية التي يقوم بها المكلفون بالمساجد ومستواهم العلمي وخطبهم الجمعية والأجور المزرية التي تنزل بهم كطبقة اجتماعية .

•

وتاتي بعد ذلك المهمة الثالثة ، وهي مهمة الوعظ والارشاد ، والاوقاف تضطلع بهذه المهمة ، ولكني احسبها في حاجة الى تنظيم والى تحرر في الفهم . فالوعظ المهمل المضطرب لا يؤدي الغاية منه ، والواعظ البسيط المتواضع علما ومركزا لا يستطيع ان يؤدي مهمته. ثم ان مهمة الوعظ يقصد منها التربية والتثقيف للدين فاتهم ركب التعليم والتثقيف ، وذلك معنى رفع الامية والتربية الاساسية في العصر الحاضر . فلم لا ينظم الوعظ والارشاد على اساس رفع الامية والتربية الاساسية ، ولم لا تستغل المساجد ومراكز الوعظ والارشاد للتربية الاساسية بما فيها من مبادىء الدين والخلق والصحة وشؤون الحياة العامة .

احسب اني اشرت الى الخطوط الرئيسية لثورة في الاوقاف ولا اقول على الاوقاف . والثورة في الاوقاف معناها النقد الذاتي للمهمة الرئيسية التي تقوم بها الاوقاف ، واصلاح هذه المهمة وتوجيهها نحو الهدف الذي كان يرمي اليه الواقفون .

•

والذي نعتقده ان انحراف الاوقاف عن خطتها في تونس هو الذي اوحى بالثورة عليها ، ورجاؤنا ان يكون في خطة اصلاحية تهدف الى التطور والبعث ما يغني عن التفكير في ثورة عارمة لا تبقي ولا تذر .

واعتقد كذلك ان وزارة الاوقاف في عهد الاستقلال جديرة بان تعلق عليها اكبر الآمال في خطة بعث واحياء.

المساواة

2) وفي الاسلام خلة اراها من اشرف الخلال واجلها . وهي المساواة بين الناس ، وهذا يدل على اصدق النظر واصوب الراي فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الارض والناس في الاسلام سواء توماس كارليل .



للأستاذ عبد الرحمان الغريسي

ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)

جمعت هذه الآية مع الايجاز والاختصار ما اتصل بالتكاليف فرضا ونفلا ، وما اتصل بمكارم الاخلاق والآداب على وجه العموم والخصوص .

وقد قال اهل العلم بالقرآن ، ان هذه الآية هي اجمع آية في القرآن لخير وشر ولو لم يكن فيه غيرها لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى ـ ما فرطنا في الكتاب من شيء ـ عن علي قال : امر الله نبيه ان يعرض نفسه على القبائل ، فخرج وانا معه وابوبكر ، فوقفنا على مجلس عليهم الوقار فقال ابوبكر : ممن القوم ؟ فقالوا من شيبان بن ثعلبة ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشهادتين ، والى ان ينصروه ، فان قريشا كذبوه . فقال مقرون بن عمرو الى م تدعونا اخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية) فقال مقرون بن عمرو دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك . هذا موقف العرب البلغاء المعاصرين للتنزيل ، امام آي القرآن واعجازه ، وقد تحداهم تصريحا ونوع لهم طرق التحدي ولم يكن ذلك تلويحا .

اشتملت الآية على ست قواعد ، هي مجمع الايمان والاسلام والاحسان واساس الارشاد والتشريع . وذكر العدل اولا ، لان العدل في الاعمال قولا وفعلا واعتقادا لا يفارقه الاحسان وما ذكر بعده وتضمنت الآية اوامر الشريعة ونواهيها .

وما امر به الشارع او نهى عنه فله حالان :

الحال الاولى : ان يرد الامر والنهي مرسلا ليس فيه تعيين بمقدار فلا يكون على وزان واحد في كل فرد من الافراد ، كالعدل والاحسان ، ومواساة القريب ، واتباع الصراط المستقيم ، وحفظ الامانة ، وهذا في المامورات . وكالفحشاء والمنكر والبغي والميل عن الصراط المستقيم والخيانة ، وهذا في المنهيات . وما كان من هذا القبيل يحمل على العموم في كل شيء ، وعلى كل بحسب ما تدل عليه قرائن الاحوال ، لا على وزان واحد وحكم واحد ، ويوكل ذلك الى نظر المكلف ، فيزن بميزان النظر وياخذ ما بين الادلة الشرعية والمحاسن العادية ويعرض لهذا ايجاب وندب ـ مثلا ـ

فاذا نظر المكلف في قوله تعالى : ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وزن نفسه في ميزان العدل ، وهو يعلم ان اقصى مراتب العدل الاقرار بالنعم لصاحبها ، ورد النعم اليه ، وشكره عليها ، وهذا هو عين الدخول في الايمان والعمل بشرائعه .

واذا اتصف المكلف بهذا ، فهو يرجو ان يكون من اهله ، ويخاف ان لا يكون قد بلغ في هذا المدى غايته ، لان العبد لا يقدر على توفية حق الربوبية في جميع افراد هذه الجملة .

وان نظر في الآية بالتفصيل ، فالعدل يطلب جملة ويطلب تفصيلا ، كالعدل بين الخلق ان كان المكلف حاكما ، والعدل بين اهله وولده ونفسه .

الحال الثانية : ان تاتي الاوامر والنواهي في اقصى مراتبها ، والوعيد مقرون بها غالبا ، ويكون المامور به وصفا لمن مدح الله من المومنين ، والمنهي عنه وصفا لمن ذم الله من الكافرين ، واسباب النزول كفيلة بهذا ، وهذه تربية من حكيم خبير . وجماع الآية هو اساس التربية والاصلاح ، وبذلك يتم الارتباط بين جميع افراد الامة ويحس كل فرد انه اخ للآخر ـ فلا ميز ولا تفريق .

قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا)

ومن البر بالوالدين الشهادة عليهما بالحق لاخراجهما من الباطل، ومن كان قيامه لله كان قيامه بالعدل. فارتبطت الآيتان ارتباط الفرع باصله .

انظر البقية على الصفحة 8

صور من قوة الإيمان

للأستاذ :
عبد الرحمان الدكالي

ان دعوة الحق طهرت الانسان من كل الاقذار التي نشأت عن تربية فاسدة فحالت بينه وبين استغلال انسانيته ، واعمت بصيرته عن النهج الذي يجب ان ينهجه كانسان يتطلب الكمال بنفس كريمة حية متوثبة بعيدة الامال ، تشعر بالفضيلة وتتحرق لبلوغها مهما كلفها ذلك من عناء وتضحية .

هذه الدعوة التي ارادت ان يكون الانسان متمتعا بانسانيته هي التي بسطت نفوذها على اولائك الذين وجدت بينهم ، لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم وغنيهم وفقيرهم ، واحالتهم الى ارقى درجات الايمان فاستسهلوا الصعاب واقتحموا الاخطار ، بينما غيرهم ممن كانوا يملكون الدنيا ويتحكمون فى الرقاب ، قد انغمسوا فى اقذار المادية وتنكروا للانسانية ، فتكالبوا تكالب الضواري على الفرائس وعاشوا فى ظلام دامس ، فنالت قوتهم الى ضعف ، ونفوذهم الى اضمحلال ، ووجدوا امامهم الانسانية فى اكمل معانيها واسمى مقاصدها واجلى صورها ، تناديهم بصوت تهتز له اركان الدنيا (ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) .

تعالوا الى الانسانية الصحيحة التي تجعلنا كاسنان المشط ، تتكافؤ دماؤنا وتتوحد مقاصدنا وتقوى معنوياتنا وتتآخى فى الله ، فقد ءامنا بدعوة الحق فاكتسبنا قوة فوق كل القوى المادية وسلمت انفسنا من النقائص .

لقد اشرق فيها نور الله ، فاهتدت الى العقيدة التي هي غاية الكمال ونهاية الجمال ، فهي عندنا افضل من المال والجاه ، واغلى من هذه الحياة . (يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)

لقد تجلت هذه الانسانية الصادقة فى غزوة بدر ، يوم ان وقفت قوتان غير متكافئتين وجها لوجه، فقريش تلقى بالف من افلاذ كبدها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، يلقى بثلاثمائة من اصحابه ، وقبل ان تنشب المعركة ، يريد الرسول عليه السلام ان يعرف القوة المعنوية التي فى ذلك العدد القليل من اصحابه ، وما كاد يتم خطابه الذي وجهه اليهم حتى قال المقداد بن عمرو (يا رسول الله امض لما امرك الله ، فنحن معك والله ، لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى ، اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون) . وقام سعد بن معاذ صاحب راية الانصار وقال : (لقد ءامنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما اردت فنحن معك ، فو الذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقي بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله) . وما اتم سعد كلامه حتى اشرق وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (سيروا وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني انظر الى مصارع القوم) وان سعدا ليتكلم مرة اخرى فيقول: (يا نبي الله ، نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا فان اعزنا الله واظهرنا على عدوك كان ذلك ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك اقوام يا نبي الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك) . اية قوة مادية تستطيع ان تسيطر على هذه القوة المعنوية التي اوجدتها دعوة الحق فى نفوس هؤلاء الذين اعتزموا امام قريش وهم يعلمون انهم ثلاثة امثالهم ، وهم فى نفس الوقت يفكرون اقوى ما يكون التفكير فى حماية ذلك الداعي العظيم .

انظر البقية على الصفحة 16

تابع للصفحة 3

هذا هو الاستدلال العقلي ، ولك ان تتقدم الآن خطوة اخرى :

الحقيقة ان الاستدلال العقلي انما يرشدنا الى حد « يجب ان يكون » ثم يتخلى عنا . اما : هل لنظام مثل هذا النظام وجود في واقع الامر ، فان كلا من عقلنا وعلمنا عاجز عن ان يحكم فيه بشيء. فهناك ياخذ بيدنا القرآن ويقول : ان الذي يقتضيه عقلكم وتطالب به فطرتكم ، كائن لا محالة (وان الساعة آية لا ريب فيها) وسياتي على نظام الكون القائم على قوانين الطبيعة يوم سيفنى فيه ويعقبه نظام للكون آخر ستكون الارض والسماء وكل شيء فيه على هيئة غير هيئته الحاضرة والله تعالى سيحي فيه كل من ولد ومات منذ اول الخلق الى يوم القيامة من ابناء البشر ويحشرهم جميعا بين يديه في آن واحد : وهناك سيجد كل فرد وكل امة والانسانية بقضها وقضيضها ما قدمت من الاعمال في الحياة الدنيا مسجلا محفوظا بدون نقص ولا خطأ ولا هفوة . وهنالك سيجد الانسان كل صغير او كبير من اعماله بكل ما طال من سلسلة رد فعله في الدنيا وتشهد له او عليه جميع السلالات والاجيال التي تاثرت به الى حد ما ؛ كما ستشهد له او عليه كل ذرة من ذرات الارض تركت عليها افعاله واقواله اثرا من الآثار ، ستشهد له او عليه يداه ورجلاه وعيناه واذناه ولسانه وجلده وكل جارحة من جوارح جسده : كيف وفى ما استعملها في حياته الدنيا ؟ . ثم سيحكم عليه احكم الحاكمين — جل ثناؤه وتباركت اسماؤه — بكل عدل ويجازيه حسب اعماله وشهادة الشاهدين بما يستحقه من النعيم او العذاب . وسيكون كل من هذا النعيم والعذاب على نطاق واسع لا يمكن تقديره حسب المقادير المحدودة الضيقة التي نعرفها الآن في نطاق العالم الحاضر ، وسيكون المقياس هناك للوقت والمكان مغايرا عما هو في النظام الحاضر ، كما ستكون قوانين الطبيعة هناك غيرها في هذا النظام . وسينال الانسان هناك جزاء كاملا بدون اي نقص على كل عمل من اعماله الحسنة التي بقيت تجري آثارها الى الآف السنين في نظام العالم الطبيعي بدون ان يقطع عليه الموت او المرض او الهرم ما سيكون فيه من النعيم والسعادة والفرح . وكذلك ان هذا الانسان نفسه سيلقى هناك العذاب على كل عمل من اعماله السيئة التي ظلت تجري آثارها الى آلاف من السنين في الحياة الدنيا بدون ان ينقذه الموت او الغشى مما سيكون فيه من الالم والعذاب .

ولعمر الحق اني لا يسعني الا البكاء على ضيق اذهان الذين يرون حياة مثل هذه الحياة ونظاما مثل هذا النظام من الامور التي يستحيل وجودها . فانه اذا كان من الممكن ان يوجد نظام العالم الحاضر بالقوانين الطبيعية الحاضرة ، فلماذا من المستحيل ان يوجد نظام آخر بنوع آخر من القوانين ؟ اما انه سيكون حتما في واقع الامر ، فذلك ما لا يمكن تعينه ببرهان ولا بثبوت علمي وانما هو في حاجة الى شهادة القلب والايمان بالغيب .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

تابع للصفحة 6

وقال صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع على الناس وهو مسئول عنهم ، والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عنه ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته) فجميع هؤلاء رعاة وحكام على مراتبهم . والاحسان الى ذي القربى يقتدي غريزة الفطرة ، وبه تتم الرابطة بين الاقربين ، وتبلغ البيوت في وحدة المصلحة دوحة الكمال ، والامة مؤلفة من البيوت — العائلات — فصلاح البيوت صلاح الامة ، ومن لم يكن له بيت لا تكون له امة ، ومن فسدت فطرته فلا يكون فيه خير لاهله ، فاي خير يرجى منه للبعداء والابعدين ومن لاخير فيه للناس لا يصلح ان يكون جزءا من بيت امة .

فقد هدانا القرآن الى اكمل الاصول والقواعد ، ووكل الينا هذا واعطانا الحرية التامة ، والاستقلال الكامل في الامور الدنيوية ، والمصالح الاجتماعية التي ينظر فيها اهل العلم والمعرفة والمكانة ، الذين نثق بهم ، ويقررون لنا في كل زمان ما تقوم به مصلحتنا ، ولا يتقيدون الا بقيد هداية الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وليس فيها ما يمنع سير المدنية او يرهق المسلمين عسرا .

ولكنا ما رعينا هذه الهداية حق الرعاية .

ولما اقعدتنا القيود عن مجاراة الامم ، صار اولئك الذين خرجوا بنا عن اصول الكتاب والسنة فريقين . فريقا رضوا بالقعود ، ظنا منهم انهم محافظون على الاسلام ، وفريقا قلدوا غير المسلمين ، فكان كل من الفريقين بجهله حجة على الاسلام في الظاهر ، والاسلام حجة على الجميع في الحقيقة ، وقد سعد المهتدون بهدى القرآن وكانوا حجة الله على نوع الانسان ، وشقى المعرضون واصابهم من الذل والهوان ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .



للأستاذ
عبد الوهاب بن منصور

منذ خمسة اعوام – على ما اقدر – نشرت مقالا بمجلة (لسان الدين) التطوانية ، عبرت فيه عن راي ارتأيته ، فاطلقت العنان للقلم يفصح عنه بعد ان ضاق به الصدر ، وخلاصة المقال ان المستعبدين المستعمرين (بالفتح) ليسوا مسؤولين شرعيا عما ياتون من اعمال ويذرون ، لانهم فى حكم المكرهين الذين لا يخاطبون بشيء من التكاليف الدينية ، وقد كنت اسكن يومئذ مدينة جبلية منعزلة حللت من قلوب اهلها محلا كريما ، وكان اهلها – ذكورا واناثا – يعطرونني كلما اصبح الصباح وامسى المساء بوابل من الاسئلة السخيفة من باب قص الشوارب واعفاء اللحي واكل الثوم والزيتون فى ليالي رمضان ، ويرغبون ان يعرفوا فيها حكم الله ، والحق ان بعض تلك الاسئلة كان له جواب فى كتب الفقه معروف ، ولكن كان يغيظني منها انها كانت تافهة جدا، وان الذين يسالون عنها كانوا كمن يسال عن القذى ويغفل عن العمود ، وقد كنا يومئذ فى كفاح مرير مع الفرنسيين ، وكانت الازمة فى المغرب العربي كله بالغة اشدها وتنذر بشر مستطير ، ولم يتقدم الى واحد من الناس يسال عن حكم الله فى الجهاد والشهادة وانفاق المال فى سبيل الحرية ، ومعاداة الاجنبي ومقاطعة اعوانه واتخاذ البطانة من غير المسلمين ، ومن كثرة ما سئلت وغاظني السؤال اخذت امسك عن الاجابة بالمرة رابئا بنفسي ان ارعى مع الهمل ، ثم لم البث الا قليلا حتى كونت الراي الذي طلعت به على الناس فى مقال صريح.

ومع ما كان بيني وبين الاستاذ عبد الله كنون رئيس تحرير المجلة من الود والتجاوب الروحي – ولا يزال – فانه استعظم هذا الراي او استعظم على الاصح نشره فى مجلة تصدر تحت مسؤوليته ، ولم يشأ ان يلقي بالمقال فى سلة المهملات حبا لى وكرامة ، ولكنه نشره مع تعليق احترز فيه لنفسه مما فيه ، والقى تبعة الراي علي مرتئيه ، ومن الاقرار بالحق ان المقال كان فيه شيء من الجراة ، فانه عندما نشر اثار ثائرة علماء المشرق الذين كانت المجلة تصل اليهم ولا تصل الى علماء المغرب ، لان الاستعمار الفرنسي كان يحول بينها وبين الدخول الى الجنوب ، وكتبت حوله نقود وردود ، منها واحد لاحد رجالات الازهر نشر فى المجلة نفسها بعد حين .

والحق انني لم اقتنع بشيء من الرد ولا ثنى عناني امر من النقد ، بل بقيت مصرا على رايي بعد الرد والنقد كما كنت مصرا عليه قبلهما ، فقد كنت ارى من السخف الذي ما بعده سخف ان يهتم الناس بجزئيات بسيطة من امر دينهم ، ويهملوا القواعد الكبرى والكليات العظمى ، وكنت ارى من النصح للدين وعامة المسلمين ان نوجه تفكيرهم كله ونعبيء جهودهم كلها لمحاربة الاستعمار ، الذي عطل احكام الشريعة وحال بينهم وبين ممارستها حتى فى الاحوال التي يبدون الرغبة الاكيدة فى ممارستها ، والتقيد بها ، فاذا خلصت البلاد منه امكننا بعد ذلك ان ننظر فى احوالنا بحرية فنثبت الخير وننفي الشر ، وما الجدوى من معرفة احكام لا يستطيع الناس التحاكم بها ؟ ان المعرفة ستزيد القلب هما ، وخير منها الجهالة ، وكاني بالسائلين يشملهم قوله تعالى : (يا ايها الذين ءامنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) .

وقد رفعت القبائل البربرية العقيرة ، مطالبة باسقاط العرف وتاكيد الشرع ، فكانت تقابل من المستعمرين بالاستهزاء والقمع ، وبحت اصوات المغاربة مطالبة بالغاء مفاسد المجتمع كالبغاء والخمر والقمر بدون طائل ، وطالب كل الغيورين بتشديد الرقابة على الاماكن التي يختلط فيها الجنسان كالمسابح والمواسم والحدائق العامة حماية للاداب ، فكانوا كمن يصيح فى واد او ينفخ فى رماد . واذن فلنوجه عنايتنا لمحاربة

الاستعمار وتقويض صرح الاكراه ، ولنضرب صفحا عن كل سؤال حتى تحقق الحريات العامة ومنها حرية المعتقد والدين ، فمع الاستعمار لا دين ولا اعتقاد ، ولامر ما لم يكتب الله لموسى في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء الا بعد خروجه ببني اسرائيل من ارض مصر وتخليصهم من ظلم الفراعنة ، ولحكمة ما لم يفرض الله على محمد من الاحكام قبل الهجرة الا قليلا لعجزها على ممارستها في ارض يعظم فيها النكال بالمومنين المتعبدين ، وقد فرض الله عليهم صلاة الجمعة بمكة فاداها الاقوياء الاحرار من سكان يثرب ، وعجز المستضعفون من مسلمي مكة وفيهم محمد (صلعم) — عن ادائها ، ولم يؤديها رسول الله (صلعم) الا بعد ما هاجر الى المدينة وادركته في بني سالم بن عوف .

والآن ، ارتفع الاكراه واجتثت شجرة الاستعباد ، ورشد المغاربة بعد حجر ، وانطلقوا بعد اسر ، واصبحوا احرارا مستقلين ، بيدهم التنفيذ ، وليس للاجانب على حكومتهم من سبيل ، فلم يبق لامير ولا مامور مفر من تحمل تبعاته ، ولا مناص لكبير او صغير من المؤاخذة بمسؤولياته ، وصار لزاما على كل واحد ان يعلم من احكام المروءة والدين ، وان يسأل عما لا يعلم من هذه الاحكام حتى يعلمها ويعمل بها ، وصار حتما على اولي الامر من حكام ونواب وعلماء ان ياخذوا اهبتهم لانهاض الاسلام من كبوته واقالته من عثرته ، واعادته مشرق الوجه ، نقي البشرة ، كما كان في ايامه الاولى .

ويجب ان نبادر فورا الى اصلاح الاسلام ، فنحن الآن في مفترق الطرق ، ودواعي الالحاد متوفرة ، ووسائل الاغراء به كثيرة ، وقد يحميها القانون في كثير من الاحيان ، والاسلام تبعا لذلك في مفترق طرق ايضا، فاما ان ناخذ له بالاحوط من الان فنعيده سيرته الاولى ، واما ان نفرط في شانه ، ونستهين بالاخطار المحدقة به ، فتحل به قاصمة الظهر لا قدر الله .

وليس امر هذا الاصلاح الديني بالهين ولا باليسير، بل هو من العسير والتشعب بحيث يقتضي تكاتف الجهود وتوحيد القوى ، وهو يشمل ميدانين : ميدان الهدم ، وميدان البناء ، اما الاصلاح بالهدم فيكون بالقضاء على ما علق بالعقائد والعبادات من مظاهر الوثنية ، وآثار الجمود والرجعية ، وبوائق الاسرائليات ، حتى يعود الاسلام صافيا كالمرآة ، نقيا كالندى ، سلسا كشؤبوب المطر وينبوع العين ، ويدخل في هذا الميدان العدول نهائيا عن التدريس بالكتب العتيقة والحواشي والتعاليق والاستعانة عنها بكتب دينية مبسطة يحذف منها بعض ما ذهب بذهاب وقته كابواب الرق والجهاد واحكام الذمي والبيوع الفاسدة ، ويضاف اليها ما يقتضي من الزمان اضافته كالعقود والتوثيق والمعاملات التجارية والشركات والمصارف والضمان .

واما الاصلاح بالبناء فيهدف الى بناء مجتمع مغربي على اسس مستمدة من روح الاسلام والقواعد العامة التي جاء بها ولن يبنى هذا المجتمع بوعظ ولا بخطبة خطيب ، بل لا بد من خط الخطط المحكمة ، ونهج المناهج القوية ، التي تجعل البناء ياتي كالنتيجة المنطقية التي تسبقها المقدمات ،**وارى ان نبدا اولا بالتعليم فنجعله مشبعا بروح الاسلام ومكارم اخلاقه ، ولست اعني بهذا ان تصبح مدارسنا مدارس لا هوتية يقتل فيها التلاميذ اوقاتهم او انفسهم في معرفة ما اذا كانت النملة التي خاطبت سليمان ذكرا ام انثى ، ولكن الذي اعنيه ان لا تكون مدارسنا علمانية لائكية تعمل برامجها بطريق مباشرة او غير مباشر على محو سلطان الاسلام من النفوس والاستخفاف بفضائله ومزاياه وتاريخه وعظمائه ، كما هو حاصل الآن ، فاذا اصلحنا مناهج التعليم وقومنا قناته بثقاف الدين امنا من خطر الالحاد والزندقة على الاجيال القادمة** ، ثم بعد التعليم نعمد الى شؤون العدالة والاحكام ، فنقيمها على الطريقة ويكون ذلك بتوحيدها وجمعها في يد قاض واحد ، يحكم بقانون يحرره واضعوه على مقتضى روح الشريعة الراعية الى جلب المنافع ودرء المفاسد ، والاخذ بالمصلحة لما فيه خير الناس وسلامة المجتمع .

ثم ياتي بعد ذلك دور الدعاة الدينيين والمصلحين الاجتماعيين ، فيجدون السبيل معبدا بتعليم اسلامي الروح ، وعدلية اسلامية المدد ، فلا تضيع جهودهم سدى ولا تذهب اعمالهم هباء .

وكما قلت في عهد الاكراه اننا غير مخاطبين بفعل ولا ترك ، اقول اليوم بكل صراحة اننا من اكبر كبير الى اصغر صغير اصبحنا مسؤولين مخاطبين مكلفين، وسنحمل اوزارنا واوزار من ياتي من بعدنا على كل تهاون او تفريط ، وان كل تباطىء في اصلاح هذاالمجتمع وتقويمه سيسهل على بذور الالحاد والاباحية ان تورق وتزهر ، ولا داعي للتفاؤل وتحسين الظنون بالمستقبل، فقد تهاونت بالاصلاح قبلنا امم لم تكن تقل عنا غيرة على الاسلام وتعلقا باستاره ، فجرفتها موجة الحضارة المادية الطاغية ، واصبح الاسلام فيها غريبا والقرآن مهجورا .

فمسؤليتنا الان جسيمة وتبعاتنا خطيرة ، ولا مجال للتملص من اداء الواجب والتغاضي عما يحف بالاسلام

انظر البقية على الصفحة 29

قصة العدد



اصبح وادي ابي رقراق يجري كعادته هادئا بين ضفتيه اللتين تحوم فوقهما بعض الطيور المائية باحثة عن ما يرميه لها البحر من اسماكه صغيرة وحشرات دقيقة الارجل سريعة الحركة .

وكان الضباب يتجمع على الشطين فيلف هذه المراكب الصغيرة التي تقترب من الشاطىء لتحمل على ظهرها بعض من يريد العبور لقاء اجر زهيد تتقاضاه مقدما ، وكان يسمع صوت مبحوح للماء الهادي الذي ينشق اما صدر المركب الصغير فيمتزج بالصوت الرنان المنبعث من المجاديف ويصدر عن ذلك كله لحن طالما هام به العشاق والمغامرون وخاصة اذا ارتفع صوت شيخ هرم يقود مركبه ويردد اغنية امانيه يوم كان شابا فيسحر بها القلوب ويدغدغ نفوسا مشتاقة ولهى .

وفى تلك اللحظة كان يقترب من النهر رجل خشن الثياب قد حمل فى يده عصا وعلى كتفه ركوة ماء ، ويتبعه شاب فى مقتبل العمر وهما يريدان عبور النهر .

كان الشيخ قد طاف حول العالم المتمدن حينذاك يدرس ما فى الكتب وما فى رؤوس الناس ايضا ويقارن بين ما يراه هناك وبين ما ترك عليه بلاده وبعد غياب طويل ها هو يعود اليوم الى بلاده يملأ نفسه امل كبير فى ان يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وفى رجوعه هذا اتخذ هذا الشاب رفيقا يربيه على اسس الدعوة الجديدة ليكون عضده فى الكفاح الذي بدأ يسبح فى لججه .

واقتربا من مركب وجداه فجأة بجانبهما ، وطلبا منه ان يحملهما الى الشاطىء الثاني ليتابعا نشر دعوتهما هناك ، وادخل الشيخ يده بين ثنايا ثوبه وبعد بحث طويل اخرج قطعة من النقود ومدها الى صاحب المركب وبدا يستعد للنزول اليه مع رفيقه .

ولكن صاحب المركب قهقه عاليا ورمى بالنقود فى وجه الشيخ وقال :

— هذا لركوب واحد فقط ، فبم يركب الآخر ؟

والتفت الشيخ الى الشاب طالبا رايه ، ولكن ما عسى الشاب ان يفعل وهو لا يملك من متاع الدنيا شيئا .

ووقفا حائرين يريدان العبور لينشرا فى العدوة الاخرى دعوتهما منكرين على الدولة الشمطاء تساهلها بل واهمالها لتعاليم الدين . ولكن كيف يتمكنان من القيام بكل هذا وهما لا يملكان اجرة مركب يعبران عليه النهر الى العدوة الاخرى .

ووقف الشاب ينظر الى شيخه يلتمس ان ينبثق فكره الحكيم عن راي يطير بهما فوق النهر ويضعهما على الضفة الاخرى لينطلقا الى تبليغ الرسالة التي قيدتهما العناية الالاهية لادائها ، واطرق الشيخ مليا ثم رفع راسه وقلب بين اصابعه قطعة النقود الصدئة التي لم تستطع ان تحمله مع تلميذه الى تلك الضفة المحتجبة وراء ضباب الصباح الكثيف ، ولكن حكمته البالغة لم تسعفه براي فى حين كان يرى صاحب المركب يعود الى مركبه ليحكم رباط مجاديفه وهو يبتسم ابتسامة ساخرة متمتما بكلمات لم يسمعها احد ، الا ان الجميع يفهم انها تدور حول هذا الشيخ الافن والشاب المغرور اللذين يجهلان كل شيء عن الحياة وكانهما كانا يعيشان فى كهف من كهوف الغاب او فى جزيرة نائية قد خمدت فيها الحياة وانقطع رنينها .

ووقف الشيخ بدوره ينظر الى تلميذه يلتمس ان ينبثق فكره الشاب عن راي عجزت حكمة الشيخ عن ايجاده فاطرق الشاب امام شيخه الوقور المستنجد به واعمل فكره طويلا .

فى ذلك الوقت اخذت اشعة الشمس تطارد الضباب الذي اخذ يتموج فى انسحابه من الميدان تاركا النهر يسيل رويدا تحت اشعة الشمس الدافئة . فانكشفت الضفتان ورأيا المراكب الصغيرة غادية رائحة محملة بجموع بشرية كل يسير نحو وجهة حالما بما سينال فى غده من ثروة او جاه .

والقى الشاب نظرة على النهر وعاد بنظرته تلك الى شيخه ، ولكنه فى هذه اللحظة كان يبتسم ابتسامة النصر ، ابتسامة ضال وجد الطريق من جديد

وفي الوقت نفسه فهم شيخه ما يريد ، فاسرع الى المركب ودفع قطعة النقود الوحيدة التي يملكها ، وجلس في مؤخر السفينة واضعا بين يديه رزمة الثياب التي كان يلبسها تلميذه .

وتحركت اليد اليمنى فتحرك معها مجداف واحد واستدارت السفينة والقت بنفسها وسط النهر لتنصت الى اللحن الذي يوقعه مجدافاها ، والذي طالما استمعت اليه دون ان يتغير هو ودون ان تمله هي ايضا وسارت السفينة حاملة الشيخ الوقور وهي تحفر في الماء شقا عميقا ، وسار الشاب خلفها يجره تيارها فيقترب منها تارة وتخبو قواه ، فيبتعد عنها تارة اخرى ، وهو اثناء هذا يجر الماء الى صدره بساعديه ويدفعه بساقيه الى الوراء ، وكان راسه يرتفع قليلا عن الماء ، فاذا ما غمرته موجة عاد فاخرجه وهو يلهث وكان الماء يتكسر على جسمه البض الناعم في حين كانت تقع اشعة الصباح على كتفيه في شوق ولهفة محاولة ان تنال منه في لحظة واحدة ما فاتها من قبل .

وجدف الشاب بساعديه ما وسعه التجديف مقتفيا اثر المركب الذي يحمل الشيخ، حتى نال منه التعب وانقطعت انفاسه ، حينذاك اقترب من حافة المركب ووضع يده عليه ليستريح قليلا فما راعه الا ان يرى المجداف يرتفع في الهواء لينزل على اصابعه الآخذة بحافة المركب .

لقد كادت اصابعه ان تنكسر عظامها وشعر بكفه يتجمد ويعجز عن الحركة، وبدون شعور اراد ان يقف على قدميه فاخذ يغوص في الماء دون ان تصل قدمه الواهية الى قعر النهر .

ونظر الشيخ الى تلميذه الشاب ، وقد ضاع نظام حركته ، واصبح يتخبط في طبقات الماء دون ان يستطيع خلاصا ودون ان يملك السيطرة على توازن جسمه المضطرب ، ومع ذلك فلم يقلق الشيخ ولم يضطرب لانه يعلم ان هذا الشاب لا بد ان يخرج من النهر سالما ولا بد ان تصبح يده تلك هي اليد الوحيدة المسيرة للامور في شمال افريقية ، وبلاد الاندلس ايضا . انه على يقين بان افريقية ستصبح بعد قليل تحت حكم هذا الذي لم يجد اجرة مركب يعبر به النهر ؛ وهو الآن يكافح الماء لينجو من الاختناق .

وعاد الشاب يحاول ان يجذف بذراعيه من جديد فلم تطق يمناه ان تتحرك كما كانت من قبل ، ومع ذلك فقد اجبرها على ان تعمل وتعمل لتصل به الى الضفة الاخرى ، والتحق بالمركب، واخذ يتبعه كما كان من قبل، ويغتنم فرصة انشغال صاحبه بالتجديف ليضع يده على الحافة ، وكلما حانت التفاتة من صاحب المركب الا ويبتعد بنفسه خوفا من عقاب جديد ينزل به .

. وفي النهاية القى المركب مرساته على الضفة ، وفي لحظة كان الشاب يجفف جسمه ويرتدي ثيابه .

ومضت على هذا اليوم اعوام مليئة بكفاح مرير ، وكان بعدها يوم اغر حلقت فيه ببغاء صغيرة على رؤوس الجمهور المحتشد واخذت تنشد وتغني : النصر والفتح المبين ، لعبد المومن امير المومنين . وفي الوقت نفسه تقدم اسد قد ارتجت الارجاء من زئيره وفر الناس من طريقه خفافا ، ولم يبق وسط الساحة الا شاب في مقتبل العمر ، اما الاسد فقد تقدم ملتفتا يمنة ويسرة باحثا عن شيء اضاعه ، وبين النظرات الخائفة والقلوب الواجفة راى الناس ذلك الاسد يتمسح بقدمي الشاب حينذاك انطلقت الاصوات من الحناجر تهتف مع الببغاء : النصر والفتح المبين ، لعبد المومن امير المومنين . وتدافع الناس سراعا يقبلون من شهد الطير بامامته واقر الشبل بخلافته فاصبح بعد هذا وقد سادت كلمته في افريقية وفي بلاد الاندلس ايضا .

وجاء امير المومنين عبد المومن بن علي الموحدي ، ليعبر وادي ابي رقراق مع جيشه العرمرم في طريقه لمحق العدو فانسحبت من الشاطىء تلك السفن الصغيرة العاملة في نقل الركاب اجلالا لعظمة عبد المومن امير المومنين الذي عبر الجيش امام انظاره تطفو على محياه رغبة في نشر دعوته وامل في اشاعة مذهبه في هذا العالم الآثم . بعد ذلك بعث امير المومنين بمن ياتيه بصديقه القديم الذي ابى ان يحمله في مركبه والذي ابى عليه كذلك ان يضع يده على حافته ليستريح قليلا .

وتقدم امام امير المومنين شيخ قد هدت كيانه السنون واثقلت كاهله باوزارها وسقط على ركبته منتظرا عقابه اللازب ، اما امير المومنين فقد دمعت عيناه لما راى الشيخ لانه تذكر المهدي المنتظر شيخه الذي عبر معه ذلك الوادي في يوم من الايام ، وحيدين فقيرين الا من عزيمة وايمان اسسا بهما اعظم مملكة واوسعها عرفها المغرب خلال تاريخه كله .

ورفع عبد المومن يمناه ، وحركها فلم يشعر بادنى الم فيها ، انه نسي الالم منذ خرج من النهر وسار في طريق الكفاح . واطرق متمتما بالترحم على روح المهدي المنتظر — ثم رفع راسه الى الشيخ الهرم وقال له : — عد ايها العم الى مركبك طليقا .
وبذلك اسمع العالم مرة ثانية كلمة نبي الاسلام لمن كان آذاه من قريش.

اذهبوا فانتم الطلقاء .

وبذلك ايضا اكتشف الناس قلبا ثانيا خرج الى الدنيا ولا محل فيه للحقد ولا اثر للانتقام .



لم تعرف المسيحية فى مختلف عهودها نظاما اشد وطأة ولا اكثر امعانا فى **تحقير البشرية** وتضليلها من نظام الكنيسة ، واحتكار رجالها ، هؤلاء الذين نصبوا انفسهم ورثة بعد عيسى ، فاستغلوا تعاليم دينه السامية شر استغلال ، واحاطوا انفسهم بهالة من التقديس والجلال ، فكانوا على هذه الارض اشباه آلهة يمنحون البركات، ويستمعون الى الاعترافات ويحظي بالسعادة من وسعه رضاهم ، ورفعه الى الله دعاؤهم . ومسحت راسه اصابعهم . لانهم — كما يزعمون — همزة الوصل بين الله وابنائه ، فلا عجب اذا هم فرضوا على الناس طقوسا دينية خاصة ومراسيم معينة ، فى افراحهم واحزانهم وفى الحقير والجليل من اعمالهم . ولا نكر اذا هم حاربوا العقل وطمسوا نور المعرفة لان هذا العقل هو الذي سيفضحهم ويكشف عن دخيلتهم ، **فتحجير العقل ، واذابة الشخصية ، هما هدف رجال الكهنوت** ، ووسيلتهم لتسخير البشرية لانانيتهم ، وسوق قطيعها وفق ارادتهم . ولقد سجل التاريخ صراعا حادا بين آباء الكنيسة ورجال السلطة الزمنية ، اصيب فيه حماة الانجيل باذى غير قليل ، كان من نتائجه اقصاؤهم عن الدولة وشؤون السياسة، ولكنهم اليوم يسترجعون ما فقدوه من سلطان ، فاذا هم ملوك غير متوجين تعمل اصابعهم فى توجيه السياسات ، ويأتمر العالم المسيحي بما يوحون به من ارشادات . . .

وشتان فى هذا المضمار بين المسيحية وبين الاسلام الذي لم يعرف نوعا من هذه الانظمة الكهنوتية ، ولا منح احدا من اتباعه قداسة دينية ، ترفعه عن الآخرين فتخوله وساطة او سلطة ، او تمنحه وحده التكلم باسم الدين وحماية كيانه ، **فقد برىء من هذه الرهبنة المضلة ، والكهنوت الذي خاصم العقل . وحارب العلم واعترض سبيل الانسانية وتطلعها الى حياة افضل ، وسعادة امثل .**

وانما للاسلام فقط علماؤه الذين اسدوا الى الحضارة الايادي البيضاء ، ففتحوا للناس آفاق المعرفة، وحرروا العقل من اسار الجمود ، التحجر وكانوا امناء للشريعة اوفياء وهداة بررة اتقياء ، ورجالا سعدت بهم الانسانية واعتز بهم الدين الذي ينتسبون اليه ، وليس فى الاسلام هيأة رسمية وكل اليها السهر على الدين ، والتكلم باسمه وتمثيله فى المجتمعات ، ولا منح لاحد من اتباعه امتيازا يكون به اكرم على الله ، خيرا من التقوى، وحسن الاستقامة ، **فالمسلمون كلهم اعضاء فى المجتمع الاسلامي متساوون فى الغيرة على دينهم . قوامون جميعا على حمايته وحفظ كيانه مهما تباعدت ديارهم واختلفت اطوارهم واوضاعهم ليس احدهم فى هذه الحساسية باجدر من الآخر ..** درج المسلمون على هذه العقيدة التي اشربت بها قلوبهم منذ فجر الاسلام ، فنهلوا العلم من منابعه الصافية ، وتلقوا القرآن مبينا فى مجالس الرسول ، فتدارسوه بينهم فى الخلوات والاسفار وخالطت بشاشته قلوبهم ، وشرحت تعاليمه صدورهم ، فانطلقوا يضربون فى طول الارض وعرضها، كل منهم رجل لدينه ، ينشر الفضيلة ، ويدعو البشرية الى الحب ، ويستحثها الى الخير . . . ويحدث ان تطلع فتنة يخشى منها على الدين ، او ينجم شر فيه مساس بتعاليمه ، فاذا بالمسلمين كافة رجال لهذا الدين يرفعون عقيرتهم بالاستنكار — واحيانا بسيوفهم — حفاظا على دين هم من اتباعه ان يضام ، وعلى عقيدة آمنوا بها ان تمس لا يتوانون عن ذلك او يتواكلون ، ولا يعتمدون على رجال للدين يكفونهم المهمة ، ويغنون عنهم فى الموقف ، لانهم فى هذا الشعور سواء ، وفى القيام بالواجب الديني كفاة واكفاء ، من كان منهم فى جبهة القتال او على المنبر كمن كان منهم فى ميدان السياسة او الصناعة ، كل منهم رجل لدينه ، يعمل لعزته ، ويسعى لاعلائه ، وان تعددت ميولهم ، وتباينت اتجاهاتهم .

وهذا عمر الفاروق يتوجه بخطابه لجمهور المسلمين طالبا منهم ان يتعاونوا معه ، وان يقوموا اعوجاجه اذا حاد عن جادة الدين فلا يعدم من يقول له وهو خليفة الرسول : والله لو راينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا . . . لم يتول كبر هذه المقاومة رجل من رجال الدين لان

انظر البقية على الصفحة 16



يخيل للناظر فى احوالنا اننا من بقايا المتبلبلين فى كارثةبرج بابل، ومن المعلوم ان البابليين من الامم المتحضرة ماديا وادبيا بالنسبة لامكانيات عصرهم ، ويحكى عنهم انهم بنوا برجا عاليا ليطلعوا منه الى السماء، فلما علوا به كثيرا عن الارض ، اصابتهم صاعقة شتت جموعهم وافقدتهم رشدهم فتبلبلت افكارهم ، وصار لكل طائفة منهم تفكير خاص يصادم تفكير غيرها ، فاستحال عليهم التعايش الجماعي ، فتشتتوا فى الارض طرائق قددا .

ويخيل للناظر فى احوالنا اننا قد اصبحنا كذلك ــ لا قدر الله ــ كنتيجة لما كنا عليه من التفكك ايام الاستعمار ، فكل طائفة منا تكاد تنفرد بطابعها الخاص وتفكيرها المنحاز ، وترى انها على صواب وحدها ، فتطمح لان تتزعم قيادتنا على نحوها وطريقتها ــ صراحة او ضمنا ــ ، وذلك لتفوز ــ عن حسن نية ــ بشرف توحيد الصفوف ، ولكنها اذا حاولت لا تجد من سواها الا النفور والتقاعس .

واكثر ما يصدر ذلك عن قوم من صميم الامة ، ولكنهم احد رجلين ، اما رجل لا يعرف الماضي المجيد الذي لهذه الامة فى مادياتها وادبياتها ، فلما راى ما عند غيرها من الامم الحديثة العهد بالحضارة ،صادف ذلك منه (قلبا خاليا فتمكن) ، وليس بعد تمكن الشيء الا التنكر لما سواه ، وهذا رجل له بعض العذر ، وعلى غيره ان يرشده ، كما عليه هو ان يسترشد ، واما رجل عرف ماضي الامة المجيد وعرف مثلها العليا ، ولكنه يرى على ذلك كدرة من العتاقة والقدم وتكوم السنين فيانف من استخراج الكنز ونفض الغبار عنه واحيائه ، استهواءا بالجديد الطري المزخرف . فاصبح يدعو الى اغفال جميع التراثات الروحية والاخلاقية والتربوية ، لانها عتيقة بالية يعلوها غبار السنين ، وكل ما يقال عن هذا هو انه مثال مثبط لمن حوله ، فليتق الله فيهم ، وليرجع الى رشده .

ومثل هذا التبلبل مشاهد وملموس لا فى الجماعات فقط ، بل فى الافراد ايضا ، وهو فيهم اكثر وضوحا منه فى الجماعات ، فلا تكاد تتصل بفرد من الطبقات الشعبية فى اتصالات الحياة العامة الا وتكاد تجزم انه (امة و حده)

واذا شعرنا بوجود هذه الظاهرة بيننا ، واقنعتنا التجربة بان ليس فى امكان اي فرقة خاصة ان تتزعم القيادة للتوحيد على طريقتها ونحوها ، اصبح من الضروري فسح المجال للحكومة الوطنية لتعالج المشكل بمثل ما تعالج به جميع المشاكل التي وجدتها امامها من ذيول العهد الماضي ، وليس فينا من يجهل ان التوحيد بين افكارنا وخططنا لم يكن متيسرا فى ذلك العهد ، لاننا كنا مغلوبين فيه على وسائل التوحيد كالتعليم والوعظ والنشر والاجتماع ، وكل من كان يعمل فى ميدان من ميادين افادة هذا الشعب ، فانما كان يعمل فيه بدافع الشعور بالواجب ، خصوصا فى وقت كان الهدامون اكثر من البنائين .

وحيث ان الله تعالى قد انعم علينا باسترجاع استقلالنا من يد مغتصبيه ، فان اولي الامر منا قد اصبحوا مسئولين ــ فيما هم مسئولون عنه ــ عن توحيد تفكيرنا والقضاء على الطفيليات والتعقيدات ، وما دام ينبغي ان يكون الابتداء من الاساس ، فان الاساس الذي ينبغي المبادرة بالابتداء منه هو الناشئة المدرسية ، ومن المعلوم ان المضطلع بذلك هو وزارة التربية والتهذيب الوطني ، واسمها وحده مشعر بذلك، اما من خشنت اعوادهم عن التقويم ، وهم من سوى الناشئة المدرسية من شباب وكهول فينبغي تقويم اودهم عن طريق الوعظ والنشر والتذييع ، والاقناع بالتي هي احسن ، مع مراعاة انهم عاشوا اعمارهم فى مجتمع كونته عوامل متعمدة ارغمته على ان يكون كما هو وساقته اليه .

وكما كونت الحكومة مجلسا للاصلاح المادي ، وعهدت اليه بوضع تصميم للنهوض به ، فكذلك ينبغي لها تكوين مجلس للاصلاح النفسي والاخلاقي ، فيضع برنامجا لذلك يصبح نافذا فى مدة محددة ، وان افضل طريقة ينبني عليها هذا الاصلاح – زيادة على المعارف الضرورية – هو التهذيب النفسي الذي ليس مستطاع العلم وحده ان يقوم به ، ما لم يؤازره الدين الاسلامي واخلاق السلف المتسمة بالتشبع بروحه وتفكيره، مع الاقتناع بان اتخاذنا للاوربيين والمصطبغين بصبغتهم كمثال لما ينبغي ان نكون عليه ، يبعدنا دائماعن الغاية التي نسعى اليها ، وعن ماضينا التاريخي الذي يفيدنا الاقتباس منه وعن بناته الاماجد .

نرى الاوربيين ومن انضاف اليهم متقدمين فى كل شيء الا فى الناحية النفسية والخلقية فاننا نكاد نجدهم بدائيين فيها ، وذلك ما يجعلنا نرى على مدنيتهم وتقدمهم مسحة من النقص ، لانهم لا يقدرون القيم الا بالفائدة المادية الملموسة الناتجة عنها كضرب اثنين فى اثنين لاستنتاج اربعة ، وهذا شيء يشعر به الانسان فى كل اتصال يتاح له بهم ، ومتى اتخذناهم مثالا لقوميتنا ولتربية ناشئتنا فاننا سنجلب منهم عاملا قويا للجفاف النفسي والجدب الخلقي ، زيادة عما يشعر به ذلك من افتقارنا اليهم حتى فى هذه الناحية .

وقد استمعت اخيرا الى مرشد يتحدث الى الشباب الكشفي عن الفقر والفاقة ، ويدعوهم الى التصدق والاسعاف المالي ، فضرب لهم المثال بسخاء الاميركيين فى هذا الباب ، وبقدر ما سرتني دعوته لايقاظ روح التضحية والاسعاف فى الشباب ، ساءني ان يكون ذلك عن طريق قوم لا يعد ما عندهم فيه شيئا بالنسبة لما عندنا واشفقت ان يستقر فى ذهن المستمعين اليه اننا لسنا الا عالة على غيرنا فى كل شيء حتى فيما نحن اثرى منهم فيه ، واوثق فيه صلة بالسماء ومنبع الرحمة والاحسان .

وقد كان فى امكانه ان يؤثر عليهم كثيرا ، وان يحيي فى نفوسهم الاعتزاز بماضيهم التاريخي لو انه استدل لهم على دعوته بادلة الاسلام وقص عليهم ما كان للمسلمين الاولين فى ذلك ، وان قصة مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار الى درجة اقتسام الاموال ، لكافية وحدها فى ذلك ، وان يتطرق من هناك الى ءاية (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) والى اسرار الاحاديث النبوية الواردة فى الصدقة كقوله عليه السلام (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع احد لله الا رفعه) . وكقوله عليه السلام ما نقصت صدقة من مال ، وما مد عبد يده بصدقة الا القيت فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل ، ولا فتح عبد باب مسألة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر) واين حكمة الحكماء ونصح الناصحين من هذه التعليمات السامية .

ومن تربية الاسلام لاهله ، ان الوزير الاديب الصاحب بن عباد امر صاحب فراشه بوضع دينار كل مساء عند الفراش ليتصدق به الوزير اول ما يخرج من الغد ، عملا بالحديث الشريف (باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة) ، فاصبح ذات يوم ولم يجد الدينار ، فاغتاظ خوفا من ان يصاب بالبلاء الذي ترفعه الصدقة فلما سأل خادمه اعتذر بالنسيان ، فامر ان يتلافى الامر بالتصدق بجميع فراش نومه على اول من يصادفه فى الطريق .

واذا كانت المدنية الاوربية والامريكية تدعي اليوم ان فيها افرادا يحترفون التسول ويانفون من اطلاع اولادهم على ذلك حتى لا يتهاونون فى تعاطيه ، وحتى لا تنكسر نفوسهم امام رفاقهم فى المدارس والمجتمعات فان الذي كان حق حظه فراش نوم الصاحب رجل من هذا القبيل ، يحترف التسول ويكتمه عن زوجته وعن بنته الشابة المخطوبة ، فلما ارادت الزواج لبيت بعلها طالبت والدها بجهاز مثيلاتها ، ولكن من اين للمحتاج المتسول ان يلبي رغبة بنته ومع ذلك فحتى فى هذه الحالة لم يجرأ على مكاشفتها بالحقيقة ، فسلم امره الى الله وبقي ينتظر منه الفرج ، وبينما هو سائر فى ذلك الصباح ومعاول الهموم والقلق تتناوب على راسه ، اذا بخادم الوزير يستدعيه ويسلم الفراش ، فيصعق المسكين لهذه المصادفة الغير المنتظرة، فيطلع الوزير على امره فيحسن اليه بما يزيد راسه رفعة وشموخا امام بنته ، ويحمد الوزير الله على ان جعله سببا لحل هذه الازمة

وحتى ان امكن ان تكون للاوربيين والاميركيين فلتات فى مثل هذه الاريحية فانها استثنائية بالنسبة اليهم ، اما نحن فانها عندنا من صميم ديننا ومعتقداتنا.

ثم ان تاريخنا يزخر بكثير من مثل هذه المشاهد ، فلماذا لا نحييها ونجعل منها عبرة لشبابنا وناشئتنا ؟

واذا اعترفنا مخلصين ، للاوربيين والاميركيين بالتقدم الباهر فى الماديات على اختلاف شعبها وطرقها .

انظر البقية على الصفحة 26

تابع للصفحة 13

المسلمين يومئذ كلهم رجال دين لا يقبل احدهم ان يتنازل للغير عن حقه في حمايته واعزازه، حتى ولو كان هذا الغير الفاروق نفسه وبهذا الاعتبار الذي يسوي فيه الدين بين اعضاء المجتمع فلا يمنح عضوا منه قداسة دينية، خاطب النبي ـ ص ـ المسلمين عامة بقوله : (من راى منكم منكرا فليغيره) فاعتبر الجميع اعوانا على نصرة الدين وتطهيره من كل الاوضار التي قد تعلق به ، ولم يتوجه في خطابه الى هياة معينة ولا الى طائفة مختصة، ومن تتبع اسلوب القرآن في مخاطبته للمسلمين ، ادرك بالبديهة ان الاسلام يعتبر ابناءه وحدة متماسكة واعضاء متساندة تتعاون كلها على حفظ الدين وتدعيم صرحه بالتواصي بالخير والتناهي عن الشر والاعتصام بالعروة التي لا انفصام لها .

وليس للعلماء داخل هذا الاطار الان يقوموا بامرين، ان ينشروا العلم بين الناس ويقوموا بتبيينه حسب طاقتهم وامكانياتهم ، وان لا يضنوا به فيكتموه عنهم وهم في ما وراء هذا مع الجمهور المسلم سواء .
فعلى المسلمين حيثما وجدوا في مشارق الارض ومغاربها ان يصونوا كيان الدين وان يعملوا لابعاد الشبهات عنه. ويصدوا عنه كيد الكائدين والمتربصين . ففي هذا كله تلتقي مسؤلية المسلمين كافة ، ويتطلب الدين جهودهم متضافرة واهواءهم متحدة . . .

وقد الف الناس ان يحتموا بالعلماء بوصفهم رجال الدين فتقوم الدنيا من حولهم فلا يضجون او يتحركون ويصاب الدين في الصميم فلا يثارون لان العلماء رجال الدين المتصدرون ، فهم حماته والمسؤولون عن كل ما يتهدده ، يرددون كل هذا واشباهه تفصيا من التبعات، وتملصا من القيام بواجبهم كمسلمين ، ولن يقوم لهم هذا عذرا بحال لانهم ايضا رجال للدين وجنوده ، فليس احد بمغن عن آخر في صيانة الدين وحماية حوزته فتيلا .

وانما اعتقد الناس هذا يوم ان ضعفت الروح الدينية، وتغلبت عليهم المادية ، واندس بين صفوهم اقوام لبسوا مسوح الدين ، وتكلموا باسمه ، وادخلوا على العقيدة الاسلامية النقية ما شاب صفوها وعقد سهلها ونفر منها اهلها . وقد عانى المجتمع الاسلامي من هؤلاء المرتزقة بالدين وذاق من انانيتهم واثرتهم الشيء الكثير ، فتخلى لهم واسلم لهم القياد وكان حظ المغرب من هذا السرطان البغيض غير قليل فقد شاهد من هؤلاء انماطا (وعينات) كان مصيرها السيء اكبر شاهد على تدليسها وفظيع بهتانها ، ولا بدع فان الدين سلاح ذو حدين يرتد في الاخير الى صدور الذين يستغلونه من الدجالين والمضللين .

ولكن شعب المغرب ـ والحمد لله ـ شعب مسلم بفطرته نقي العقيدة ، قوي الحفاظ ، سريع الاستجابة الى كل دعوة اصلاحية . فالحال معه لا يتطلب حملة تبشيرية دينية ، ولكنه في حاجة الى توجيه وحث على التمسك بتعاليم الشريعة ، وفي حاجة الى قيادة حازمة وقوة صارمة تردع المضلين وتقمع الحاد الملحدين فلعل الله ان يزع بالقوة والسلطان مالا يزعه بالقرآن .

رجلان

1) وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو على مولاه اينما يوجهه لاياتي بخير هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم .

تابع للصفحة 7

انه الايمان الذي سرى من نفس ذلك الداعي العظيم الى نفوسهم ، فتضاعفت قوتهم واندفعوا للموت في سبيل العقيدة والوطن ، ولكن يجب ان يرجع محمد صلى الله عليه وسلم الى اخوان لهم علموا منهم ما علموا من انفسهم ، ليجاهد في سبيل هذه العقيدة ، لقد كان كل واحد منهم يشعر انه في جوار الله ، وليس بينه وبين لقائه الا ان يموت شهيدا في هذه المعركة الفاصلة التي ستولد بعدها الدولة الاسلامية الكبرى ، وها هم يسمعون صوت رسول الله يتلو قوله تعالى (يا ايها النبيء حرض المومنين على القتال) وهذا بلال امام امية بن خلف الذي كان يعذبه ويضع عليه الصخور الحامية ليرده عن دينه ، يواجهه في ساحة الوغى ، ويقول امية راس الكفر لا نجوت ان نجى وذاك معاذ بن عمرو بن الجموح يقتل اعدى اعداء رسول الله ابا جهل ، واسد الله حمزة بن عبد المطلب يقتل الاسود المخزومي وشيبة بن ربيعة ، واما علي بن ابي طالب فانه لا يمهل الوليد بن عتبة ، وانتهت معركة بدر بانتصار دعوة الحق التي لن تزال قائمة ما دام في هذه الامة دعاة مخلصون ، منحهم الله روحا من عنده ، ونفحهم بعبير رحمته ، وانار قلوبهم بهدايته .

عسى ان تكون هذه الصور عبرة لنا فنمسك بالسلسلة التي تصلنا باولئك الذين شهد لهم العالم قديما وحديثا بجلائل الاعمال ، فننتشل الغرقى في دياجير الفتن ، ونعالج الطباع المسممة بسموم المفاسد ولا نخشى ان نقول حينئذ اننا قمنا بالواجب المقدس نحو عقيدتنا الخالدة .



جاء الدين الاسلامي ـ كما قلنا ـ تحريرا ـ للانسان ومواهبه من جميع انواع العبوديات ، ومن جميع مظاهر السيطرة الفكرية او الاجتماعية او السياسية ـ وجاء ثورة روحية ، وتنظيمة اجتماعية ، تفرغ المجتمع الانساني فى تشكيلة نظيفة واعية ، تفتح امامه الامكانيات كلها ، للسمو والتكامل ، والتطور فى الحياة ـ كما حرر الاسلام علاقة الانسان بالله من جميع الوسائط والاوهام ، واسلمه لعقله ووجدانه ليتلمس الله والطريق اليه عن طريقهما ، ووضع عقيدته فى هذا الباب تحت مسؤوليته الخاصة ، ليتجه بنفسه وروحه الى الله وجها لوجه : (اياك نعبد واياك نستعين) .

الاسلام فى واقعه :

والاسلام فى واقعه التاريخي ، ظل فى اغلب مراحله خاضعا للسلطات السياسية ، التي كانت تتلبسه بدل ان يتلبسها ، والتي كانت فى اغلب الحالات خاضعة لنفسية وميول الشخصية السياسية ، التي تملك الموقف فى زمان او مكان ما واريد ان اقول ان الدين الرسمي للدول الاسلامية ، والروح التسلطية التي كانت تسود اغلب ملوك الاسلام ـ الا النادر ـ هي التي سلكت بمبادىء الاسلام ، واصوله ، هذه الوجهة التي قلصت من نفوذها، والتي انمسخت بها حتى انعكست ظلالا شاحبة فى محيط الحياة العامة للناس .

وقد انضاف للسلطة السياسية ، فى تقليص معنوية روح الاسلام ، وسد الابواب والامكانيات (الرسمية) الكبرى ، امام بلورتها فى حياة الناس عامل آخر هو موقف الفقهاء ورجال الدين :

الفقهاء الذين انجرفوا هم انفسهم فى تيار السلطة السياسية ، وكانوا ـ اغلبهم فى اكثر الاحيان ـ سدنة رجال النفوذ، وخدام السلطة السائدة ومؤولي الشريعة حسب الميول والرغبات، كما كانت ظواهر الجمود والتقليد، والتزمت والتشدد المتحرج ، احيانا كثيرة هي الطابع الذي يسود اوساطهم ، وقلما آمن الفقهاء ، ان رسالتهم الانسانية أقدس من رسالة اعظم ملك ، وان مهمتهم اشق من كل مهمة تحملها مسؤول ، وقلما نعثر فى التاريخ على امثال ابن حنيفة ، ومالك ابن انس وابن تيمية وابن القيم ، وابن حزم . احمد بن سعيد، واسد بن الفرات ، ممن آمنوا برسالتهم واستقلال مهمتهم عن كل سلطة وكل تاثير ، فرفضوا ان يخضعوا لاية سلطة ، او اي مؤثر ، فادوا رسالتهم مؤمنين اوفياء .

وقد كانت الحقبة الاولى فى تاريخ الاسلام ، هي الحقبة التي امتازت بطهارة الضمائر وصفاوة القلوب ، وبانسياب مبادىء الاسلام قيها الى الحياة العامة انسيابا رقراقا حيا متوثبا ، كما امتازت بميزة كانت من امجد الميزات واروعها ، هي هده الحرارة الملتهبة من الايمان الرقراق الصافى الحلو الذي كانت تفيض به انفس المسؤولين وماسكي قيادة الامور بين ايديهم فى ذلك العصر فى مسحة من التواضع والتفهم والحياة ، فتم بينهم وبين جميع طبقات الشعب المحكومة نوع من التفاهم ، وروح الاستجابة الواعية، والانسجام الحي عز ان تحقق مثله فى تاريخ الاسلام بين الحاكمين والمحكومين .

وقد ظلت الشعوب الاسلامية منذ ذلك العصر حينما ملأت طهارة المبادىء اركان القلوب محتفظة فى محيطها على ممر العصور بروح الاسلام ومبادئه فى كثير من مميزاتها ومظاهر حركتها العامة فى شؤون المجتمع العادية ومدارج حياته اليومية ، فكنت لا تجد الجذور العميقة لهذه الروح ، ورواسبها النقية ، والامثلة الرائعة الخالدة فى النبل والطهارة والصفاء والتضحية والايمان الا فى الاوساط العامة للشعب ـ على حين انحرف بجميع ذلك ارباب السياسة وذوو السلطة والنفوذ ، الا جزئيات نادرة تذكر محفوظة فى التاريخ .

وهكذا تبلورت الروح الاسلامية (التحررية ـ والبنائية) فى حياة الجماهير الشعبية بابرز صورها ، والتمعت فى محيطها بحياة افراد كانوا الامثلة الحية فيما تصنع المبادىء ، وتحقق من المعجزات فى السمو والصفاء ـ كما انتفضت بفضلها هذه الشعوب انتفاضات واعية عبر التاريخ ، كانت من اروع ما عرفت الانسانية فى كفاح العقيدة ، وتفاني الوفاء ، وبطولة الايمان والاخلاص .

ظلال على الحياة الاسلامية :

ومع اطراد الحياة الاسلامية ، وتفاعل ظروفها ، مع الحياة نفسها ، ومع آثار الاتجاه المعاكس الذي كانت تسير فيه السياسة الاسلامية ، فى

حياتها اليومية وجانبها الواقعـي ، مغمـورة بنزعـات الاشخاص ونفوذ الميول ، ومختلف الرغبات والاهواء ، ـ فقد انعكست على الحياة العامة للمجتمع الاسلامي ـ عبر القرون المتطاولة التي تعاقبت فيها ممالك وامارات اسلامية ـ ظلال متعددة كان لها اهم الاثر وابـرزه في تشكيل نفسيته وعقليته ، وفي توريثه كثيرا من العاهات النفسية والروحية ، كانت بمثابة (روماتيزم) عقلـي وروحي ، شل حركة المجتمع الاسلامي ، وعاق تدافعه، وجمد طاقاته الحرارية ، وطوق امكانياته الحية في اعماقه، وكان من ابرز هذه الظلال :

ظلال السياسة التي انحرف غير قليل رجال السلطة ممن بيدهم مقاود البلاد والشعوب الاسلامية الروحية والزمنية عن روحانية الاسلام واتجاهه فانعكس هـذا الانحراف الزائغ على الجماهير الشعبية بظاهرتين اثنتين:

اولاهما : ردة فعل نفسية داخلية كانت بمثابـة نكسة داخلية ذاتية متاتية من شعور الافراد الداخلي ان مبادىء الاسلام قد انتكس بها الساسة على نفسها ، وان روحه الحق قد ضحلت في محيط السياسة وفي اطار القيادة المسيرة لشعوب الاسلام .

وثانيتهما : انخلاق روح من الطاعـة المسحـورة ، والانقياد الاعمى عند العامة، وخصوصا فيعصور الانحطاط والتخلف ، وبالتالـي ظاهرة مـن اخـلاق العبودية والاستخذاء ، وميل الى الانطوائية المتطرفة التي مقتت الحياة كلها فنائرت الاعتزال عنها ، والابتعاد عن التاذي بما تعرض من انحرافات في العمل والخلق والتصرف ، والاستسلام للظروف والاقدار تفعل في محيط الحيـاة وتخرب ما تشاء .

وظلال التشريع الاسلامي الذي لم يستطع فقهاؤه ـ في عصور الانحطاط المتطاولة ـ ان يسايروا به دائما الحياة الدائمة النمو والتطور ، وان يعطـوا نصوصـه وقواعده العامة التفسير المرن المتعقل الذي يجعل منه قوة قانونية متقبلة في معطيات المجتمع ، وسلطة روحية نافذة تماشي المدارك ، وتتفتح عليها المواهب والعقول ، هذا من جهة ـ كما لم يستطيعوا من جهة اخـرى ان ينحوا بالفقه المنحى الذي يجعله مستقلا عن تاثير الاهواء والاشخاص ، ولا الوجهة التي تجعله في حماية من سلطة السياسة واستبدادها ، وفي مبعدة عن سطوة المذاهب والنزعات التي كانت تريد بالحاح ان تجر الى ركابها رجال الشرع والدين وان تساند اهواءها ومطامعها بموقفهـم الى جانبها ، وبفتاويهم لصالحها ، ولن يستطيع احد ان ينكر الدور الذي لعبته الاحزاب والاهواء السياسيـة ، ولعبةالملوك والامراء في استدراج رجال السلطة الروحيةاحيانا كثيرة الى جانبهم ، وكسب تاييد الدين لفائدتهم ، وكيف ان ظلال هذا الاستدراج انعكست ـ عن غير قصد في اغلب الاحيان ـ في اراء كثير من الفقهاء ، وفي طوايـا القضايا الفقهية بصفة عامة ، وقديما قيل : (الناس على دين ملوكهم) ولا تعني هذه الكلمة اكثر من هذا ، اكثر من انسياق جميع الناس وفي مقدمتهم رجال التشريع في ركب السلطة القائمة ، واندراجهم ـ بحكم طبيعـة التقليد التي هي من الغرائز الانسانية العميقة ـ في غمرة اتجاه ذوي السلطة والنفوذ ـ وياتي تبعا لذلك انطباع مظاهر الحياة العامة للناس بثاثار هذا الانسياق ، وميزات هذا الاندراج بصفة من الصفات .

ومن جهة ثانية ، كانت طبيعة الحياة الاجتماعيـة التي ينمو الفقهاء عليها ويعيشون ، وبصفة اخـص في القرون المتاخرة ، تورثهم كثيرا من الصفات النفسيـة ، والخلال الخلقية التي لاتلائم في اغلبها صفات المشـرع الخبير ، وحامي الشريعة ومفسرها الذي ينتزع مـن اسرار الحياة والمجتمع الخبـرات والعبـر والقواعـد التشريعية التي يمسكها في يده فيعطي بها للشريعة اللقاح الجديد الضروري، ويفتح امام الديانة نوافذ الحياة كلها، ليتنسم المتدينونمنهانسائم الادب والصفاء والحرية والذوق والجمال ، وتتبلور امام الاعين قيم الحياة واهدافهـا الكبرى في نصاعتها ونبالتها ، وبالتالي تتفتح امـام المجتمعات الاسلامية ، وامام جميع المدارك كل المجالات للتطور والتفتح والتكامل .

ومن جراء هذه العوامل التي تقاصرت بـسببها مهمة الفقهاء ، وتقلصت حدود رسالتهم الى مجرد الاشتغال باتفه الجزئيات الفقهية وبالنزاعات الشخصية البسيطة التي سلكت برسالة الاسلام (التحريرية والبنائية ـ سبلا اخرى ملتوية ضاعت معها كل الضياع ـ من جراء ذلك كله ، كانت الانتكاسة التي ارتكست بالتشريع وبالدين الاسلاميين عموما طيلة العصور الوسطية في كثير مـن مظاهر الجمود والتخاذل اورثت المجتمع الاسلامي كثيرا من العقد النفسية المربكة ، وغير قليل من رذائل مختلفة في النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة وفي العقائد وشؤون الضمير والعواطف وعلاقات الناس بعضهم بعضا.

ومن ثم انعكست ظلال هذه الانتكاسـات كلهـا في محيط الحياة العامة للمسلمين ، سواء منها المتاتي من عواقب الاستبداد السياسي الذي تكبت به اغلب عصور الاسلام ، او المتاتي من جمود الفقهاء واعتزاليتهم عـن شؤون الحياة الاجتماعية العملية للمسلمين ـ انعكست ظلال ذلك كله فخلفت مركبات نفسية ومعقدات مختلفة من طبيعة الاستكانة والتسليم بالمقدور ، وعقيدة التقليد والذبذبة العقلية والفوضى في المبادىء والافكار ـ فاصيب المجتمع الاسلامي بادواء كثيرة في نفسه وروحه لا يزال يغالب الكثير منها حتى الان ـ ونحن في غنى ان نؤكد

ان التشريع فى امة ما هو المقود الروحي الذي يقدر وجهاتها ويقرر مصايرها ، وهو الذي يطبع مظاهرها طابعا يحدد اتجاهها وسلوكها ويرسم لها مناهج النفس والعاطفة والفكر والوجدان ، ولذلك فاذا اردت ان ترى المستوى الحضاري لامة فانظر الى تشريعها والمستوى الفكري لرجال هذا التشريع .

تماسك مع التاريخ :

وفورة التعاليم الاسلامية فى حرارتها انما تاتي اقوى وابرز ما تكون حينما يكون سطوع المبداين الاساسيين فى تعاليم الاسلام كلها قويا فى عقيدة المسلمين ، وادراكهم لهما وافيا ، وايمانهم بهما خالصا عميقا :

ـ مبدأ التحرير ، اي مبدأ الحرية فى النفس ، فى الفكر ، فى العقيدة ، فى الضمير ، فى الوجدان .

ـ مبدأ العمل الصالح ، وعقيدة التجند المدني المستمر لصالح الامة الاسلامية والوطن الاسلامي الاكبر ، بل لصالح الانسانية كلها فى وطنها كله .

وقد نبضت الحياة الاسلامية بامثلة فاحدث من وحي هذين المبداين حينما كانا يجدان فى اوساط المسلمين تفهما وايمانا وادراكا ، وبلغ المسلمون اوج السمو والرفعة والصفاء حينما ترادف ايمان الشعوب وايمان السلطات الزمنية الحاكمة بهما ، ثم ظلت الشعوب بعد محتفظة فى اعماقها ، وفى محيط افرادها فى حياتهم اليومية العادية باقباس من روح المبداين اللذين كانت بشاشتهما قد خالطت اعماق القلوب ، وقت ان كانت سطوة الاستبداد السياسي تخنق الانفاس وتكبت العواطف ، وتقيد الفكر ، وتشل الارادات ، وظل الاسلام بفضل سريانه الطلق وتمكنه من النفوس متماسكا مع التاريخ عند الشعوب ، وفى اوساطها وفى واقعها اليومي البسيط ، وان يكن يهضم ويهدر فى اوساطه الرسمية ، وفى مدارج السياسة ومنافذ السلطات ، وقد مر زمان طويل كنت لا تجد الاسلام وانت تبحث عنه وعن صوره الحية الرائعة ، الا متى انصرفت الى رجل الشعب المسكين فى دكان مهجور قائم فى زاوية مهملة او حي فقير ، او فى اعماق قرية نائية ، فعنده كنت تجد الايمان الصافي والعقيدة المطمئنة ، والتصرف النبيل ، والاخلاص الثابت ، لمبداي الحرية والبناء ، على حين انك تجد كلما ارتقيت الى الطبقات العليا حتى القمة الانحلال وعاهات التملق والكياد والدس ، وتحلل عقائد الارتكاز النفسي فى المبادىء والافكار .

عبرة :

ان فى ثنايا تدافع التاريخ عبرا كبرى ، ودروسا ثمينة مفيدة يجب ان نعرف كيف ننتزعها كما هي بامانة واخلاص ، وتتبين من خلالها معاثرنا عبر التاريخ ، ومثاوي النقص ، ومداخل الانحلال فى نفوسنا وفى افكارنا وفى عقائدنا ، ثم نلقنها انفسنا واثقين .

وقد مرت العصور الوسيطة الاخيرة وقسم مهم من عهود الانبعاث ، والحالة العامة للمسلمين تتخبط فى هوى عميقة ، وتغالب من ادوائها السياسية والاجتماعية والنفسية والعقدية ، مرت خلالها مبادىء الاسلام من اعظم محنة مرت بها المبادىء والافكار ، وعبرت اقسى الزعازع ، وغالبت اشد التيارات والامراض تحطيما ، واعنفها تهديما ، ومع ذلك فقد كان الاسلام يحمل فى مبادئه من عناصر القوة والحياة ما ضمن له الوجود والاستمرار عبر القرون ، وما كفل له ان يغالب قيود الاهواء والنزعات والجمود والتقليد والانعزال كلها ، فيتغلب لاول فرصة مواتية فى العصر الحاضر ، فتتجلى مبادئه الى الميدان مرة اخرى فى نصاعتها ونبالتها ، وتتسلل الى العقول لتفتح منها مرة اخرى افاقا جديدة الى الحياة ، وتخترق الطريق الجديدة للاسلام فتقتعد القمة التي هي جديرة بها بين المبادىء والحضارات فى العصر الجديد .

وفى القسم الثالث والاخير من حديثي هذا ساعرض لدور الاسلام ومبادئه فى فوز ثورتنا التحريرية ضد الاستعمار ، والدور المشرف الباهر الذي لعبته السلطة الزمنية فيها بقيادة جلالة الملك الصالح مولانا محمد الخامس نصره الله .

بكل درهم عشرة

3) قال ابن عباس : قحط الناس فى زمن ابي بكر . فقال ابو بكر : لا تمسون حتى يفرج الله عنكم . فلما كان من الغد جاء البشير اليه فقال : لقد قدمت لعثمان الف راحلة برا وطعاما . فغدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه فقال لهم ما تريدون ؟ قالوا : بلغنا انه قدم لك الف راحلة برا وطعاما . بعنا حتى نوسع على فقراء المدينة فقال لهم عثمان ادخلوا فاذا الف وقر قد صب فى الدار فقال لهم : كم تربحوني على شرائي من الشام . ؟ قالوا : العشرة اثنى عشر . قال قد زادوني . قالوا : العشرة اربعة عشر : قال : زادوني . قالوا العشرة خمسة عشر . قال : قد زادوني . قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة ؟ قال زادوني بكل درهم عشرة . هل عندكم زيادة . قالوا لا . قال فاشهدكم معشر التجار انها صدقة على فقراء المدينة .



من وحي الهجرة

للأستاذ الحسن البولعماني

هجرة المختار طفرى للعصر   كم لها فى كل جيل من عبر
ما راى موسى وعيسى مثلها   انها ثلث للاشراك السمرد
اعلنت منذ تجلى فجرها   انها عنوان مجد منتظر
اية الدنيا وناهيك بها   بعثت اسمى بشير مقتدر
بعثت اعلى رسول للورى   ادخل النور على عمي الفكر
اي عهد حافل شاهده   ناطق بالضاد من قوم مضر
انقلاب روحي ردده   كل من فى بدوه او في الحضر
وله اهتزت قلوب جهلت   ما اتى جبريل من اي السور
تخذ الهادي ابا بكر له   صاحبا اخلص حبا وصبر
وجدا من شدة الشوق الى   طيبة الفيحاء وعشاء السفر
اذ هما فى الغار والكون معا   لفظة الاعجاب فى لوح القدر
كلما ازدادت قريش شدة   فهما والروح جيش منهمر
بدد الاحزاب والشرك كما   بلغ التنزيل فى نزر نفر
هاكذا احمد طه واثق   بالاه قادر حتى انتصر
هجرة المختار تدعو للعلى   وتنادي ما لكفر من مقر
ليس فى الاسلام جور وهوى   خلق فى الجاهلية انحصر
انما الاسلام عدل وهدى   واخاء واتحاد مستمر
قل لمن يسال عن غايته   كل ما يامل انقاذ البشر
ليس الاستعباد من دينه   او يرى الانسان شيئا محتقر
مثل الاسلام في اعلامه   نخوة تعليه قدرا ان ذكر
اسالوا الاجيال عن اعدلها   هل رات فى العدل امثال عمر
واذا ما اصطف يوما امم   فلنا لولا التقى ان نفتخر
فللاسلام انتمي ذكر العلى   فعلى ابنائه المجد اقتصر
ما نبا فيه حسام فى الوغى   ما كبا طرف ولا سعد عثر
غير ان الجيل هذا مخلد   للكرى لما توالت الغير
ايها المسلم راجع سيرا   تجد الاجداد ابطال السير
وافهم الهجرة ان املتها   انها تضحية عند الخطر
يا شبابا وعد الله بهم   وطن المغرب احيوا ما اندثر
وخذوا من كل فن نافع   بذكاء كلما جد ابتكر
واجعلوا سيرة طه رائدا   لكموا واستبقوا نحو الفخر
واذكروا ما دمتموا هجرته   انه يذكرها من يعتبر
ان في احياء ذكراها لنا   دعوة الحق واحياء الاثر
امة الامي اعلى امة   كلما تفقو خطاه تزدهر

دعوة الحق

للأستاذ : عبد الواحد السلمي

اللبا

قلت لما سمعت عنها البيانا … وقرات التفصيل والاعلانا ...
منيتي ان تطبق العنوانا … وتهد الاصنام والاوثانا
فترقبت وانتظرت وقـ … ـدرت فكانت لما خمنت ضمانا
خرجت للوجود مشكاة نور … حققت وعدها ونالت رضانا
برزت مشعلا من النور يهدي … كل ضال ويرشد الحيرانا
فتقبلتها بصدر رحيب … اذ وجدت العلوم والعرفانا
وازحت الغلاف فى كبرياء … اتملى بشكله نشوانا
فاذا سيد البلاد وتاج المـ … ـلك فيها وعزنا ومنانا
يحمل المشعل المضيء ويمنـ … ـاه تخط الرشاد والايمانا

***

دعوة الحق قربى من شبـ … ـاب الجيل ما عز نيله نكرانا
جددي فيه نخوة العرب واحميـ … ـه من الغرب : ايقظي الوجدانا
فهميه احاديث الرسل يؤمـ … ـن بتقاليد دينه ايمانا
يسرى ما سواك عسر مـ … ـن احكامنا حللي لنا القرآنا
قربينا من السماء برفق … واتئاد وداركي غرقانا
وجهينا نحو الجزيرة روحا … وشعورا ومنطقا وبيانا
دعوة الحق حققي مسعانا … دعوة الحق وجهي الحيرانا

من المفلس

4) فى الصحيح عن رسول الله « ص » اتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

الضمان الاجتماعي في الاسلام

للاستاذ عبد الكريم التواتي

...قبل ان نواصل في بحثنا ارتياد معالم الاطر العامة لخطوط الضمان الاجتماعي الكبرى في الاسلام ، تلك الخطوط التي قلنا انها تتجسم – في الدين الاسلامي – في نظام الزكاة بمعناها الواسع ، وقبل ان نحاول مقارنة هذه الخطوط باقصى ما حققته الانظمة الحديثة في هذه الميادين من مشاريع وقوانين ، نرى لزاما علينا ان نلقي نظرة عامة عميقة على الدور الحقيقي الذي يجب ان يلعبه المال في نظر الاوصياء على المجتمع المتكامل الذي ينشده الاسلام ، ما دام المال هو وحده اس جميع الاتجاهات الاقتصادية لسكان عالمنا الارضي، وام كل المشاكل الاجتماعية منذ بدء خليقتهم الى الآن ، وذلك لنعرف الى اي مدى يمكن ان يؤثر في تكييف هذا المجتمع وتوجيهه الوجهة النافعة الصالحة التي ظلت ابدا – في نظر الاسلام – هي العمل على رفع مستوى البشرية ماديا وروحيا ، وانما يدعونا الى دراسة هذه النقطة منذ البداية الاعتقاد الجازم بان جميع المشاكل التي تعترض الانظمة الاقتصادية او اعترضتها او سوف تعترضها هي ناشئة اولا وقبل كل شيء عن :

اولا : الجهل بالدور الحقيقي الذي يجب ان يعطي للمال استثمارا او اقتناء في جميع معاملاتنا افرادا وجماعات .

وثانيا : عدم تحديد القيمة المجردة التي يجب ان تستقر في اذهان الناس عن نفس المال ودوره ذاك .

وثالثا واخيرا : عدم معرفة الاتجاهات الاصلية التي تجب مراعاتها عند دراسة المال كقضية انسانية ذات قيمة روحية ومدى تاثيرها في تطوير وتكيف المجتمع الانساني المثالي وعلاقة افراده بعضهم بالبعض .

وما لم تدرس علاقة المال بالافراد والمجتمعات انفرادا واجتماعا دراسة متقنة عميقة ، وما لم يعد النظر في انظمة الاقتصاد المالي العالمي على اسس الفكرة الاسلامية المبنية على اعتبار العالم وسكانه وحدة واحدة لا قيمة فيها للفرد الا باعتباره خلية من مجموع ولا عبرة فيها بالجماعة الا من حيث انها ضمان قوي لمصالح الافراد العليا في دائرة المحافظة على حقوق وحرية ومصالح الجميع ، وما لم تستلهم في هذه الدراسات التوجيهات الالاهية التي وضعت منذ البداية لمصلحة وخير البشرية فقط ، وما لم يتشبع القائمون على مصائر الاقتصاد في كل امة بان اية محاولة لوضع اقتصاديات امة ما على فكرة القوميات الضيقة انما هي مؤدية حتما الى جعل الميزان الاقتصادي فيها متارجحا مضطربا اذا هو لم يسر في غير صالحها تماما ، وما لم يتشبعوا ايضا بان قوى الخير في عموم العالم انما تنبع من معين واحد هو الايمان العميق بمبدع الوجود ، وتتخذ طريقا واحدا هو الكفاح المتواصل المجيد من اجل التقريب بين جميع عناصر هذه القوى ، لتصل في النهاية الى غاية واحدة هي الانتصار على قوى الشر انتصارا رائعا باهرا يطمئن البشرية على مصيرها ، ما لم يتحقق كل ذلك فان جميع النظم الاقتصادية التي يمكن ان تخترع وجميع ما قد يتفرع عنها من مشاريع ضخمة او تافهة ستظل ناقصة التاثير ان لم تكن عديمة ولو على الاقل فيما يخص الفوائد التي كان من المقدر ان تعود بالنفع على العالم الذي نؤكد في يقين ان الاسلام لا يسمح البتة ان ينظر الى وحداته واممه وشعوبه الا كخلايا متعددة متنوعة صورة وشكلا نحسب ، اما مدلولا ومضمونا فهو خلية واحدة متماسكة متداخلة لاتنفصم عراها ولا تتعارض مصالحها ولا تتضارب اتجاهاتها مهما حاول الانتفاعيون والانتهازيون ان يجعلوا منه عديدا من الامم ، وشتيتا من الدول مؤكدين – تدفعهم انانيتهم الخاطئة الكاذبة – اختلاف مصالحها وتباين اغراضها بناء على ما اخترعه خيالهم المجنح من اوهام حاولوا ان يضفوا عليها بريقا من العلم الزائف املا في جلب ضعفاء الايمان وقاصري الفكر الى محيطهم الضيق الذي يتنافى وافق العلم الحقيقي الواسع العريض ... وبعد فما هو دور المال في اقتصاديات المجتمع الاسلامي ؟

...اولا : يقرر الاسلام ان المال مال الله (وآتوهم من مال الله الذي اتاكم) (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

ثانيا : يقرر ان كنز المال وحبسه عن التداول فى كل ما يعود نفعه على الانسان شيء محظور وغير معترف به ولا يمكن ان يكون له مكان تحت ظلال راية الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

ثالثا : وهذا يتفرع من الثاني يقرر ان الاحتكار يصاحب الكفر ويسايره ففي سنن ابي داود عنه ص انه قال : (من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه) .

تلك هي الكليات والحدود الواسعة الضيقة المثلى التي يضعها الاسلام للمال كهدف وغاية ، وذلك هو الدور الحقيقي الذي ينحصر فيه المال فى نظام الاقتصاد الاسلامي ، فالمال هو لله ومهمة صاحبه وعلاقته به هي علاقة المستخلف بمن استخلف عليه وعلاقة المؤتمن على ما اؤتمن عليه المهمة هي الاستخلاف لا الامتلاك ، والاستخلاف لنفع المجموع وخيره ولمصالح البشرية العليا ، والذين لا يحسنون تجسيم هذه العلاقة ولايقدرون على القيام بتمثيل هذا الدور تمثيلا كاملا رائعا ولا يستطيعون اداء هذه المهمة السامية العالية على احسن الوجوه واكمل الصفات ، يجب ان يحرموا من كل تصرف قليلا كان او كثيرا فى كل مال قدر بوجه من الوجوه ان يكون صوريا — لهم ، ومن هنا راى الاسلام وجوب فرض التحجير الفعلي الكلي على الصبي والسفيه ، الاول من حيث انعدام الصلاحية العلمية والعقلية لمعرفة الوجوه الواجب صرف المال فيها . والثاني من حيث انعدام الاهلية الخلقية — والاسلام قانون واخلاق لا ينفصلان — للقيام بدور الاستخلاف فى مال الله (ولا توتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما) ...

فاذا تهيأ المسرح وهو العالم كله والدنيا باسرها ، وتهيات المناظر الملائمة الصالحة وهي كل المعاني الانسانية النبيلة والاخلاق الاسلامية الكريمة ، ووجد الممثل المقتدر البارع الحكيم الخبير الذي يعرف دوره ويتقن تجسيمه — ويجب ان لا يكون صبيا غير مكتمل العقل ولا سفيها لا يقيم وزنا للاهداف التي تتوخاها المسرحية — جاء دور الاخراج الفعلي وتجسيم الدور امام النظارة الذين يتكونون من عموم سكان العالم ، ونعني بتجسيم الدور الغاية من المال ويؤكد الاسلام انها توظيف المال ، وتداوله فى المصالح العامة المشتركة بين جميع النظارة والممثلين معا الذين يتساوون فى كل شيء ولا يتمايزون الا بمدى استعداد بعضهم للاداء والتلقي وقدرته على تحمل كامل المسؤوليات المتولدة عن ذلك ... ومتى كان المال مال الله لم يبق مجال للتقاتل عليه او التفاخر به والتكالب على استغلاله ولم تعد ثمة فرصة لصرفه فى ما لا يكون ذا نفع على المجموع البشري الذي يهدف الاسلام بجميع نظمه لاسعاده وضمان حياة الاستقرار له . ومتى تقرر ان المال للتداول لم يعد هناك اي معنى لخزنه فى البنوك والمصارف وانما يجب ان يتداول فى الاسواق لتكون منفعته اعظم واعم وتاثيره اوسع لجميع الطبقات ، ثم بعد كل هذا يجب انفاق فضوله على الفقراء والمساكين وابناء السبيل والغارمين وفى سبيل الله وعلى جميع المشروعات العائد نفعها على الامة ، ويجب ان لا يكون دولة بين الاغنياء فحسب ، وانما يجب ان يكون دولة بين جميع افراد الانسانية .. ونقرر بهذه المناسبة ان ليس هناك فى القرآن ما يمنع الدولة الاسلامية من فرض ضرائب على الاغنياء بنسبة ثرواتهم وارباحهم ودخلهم اذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك ودعت الضرورة اليه كالدفاع ومساعدة المحتاجين والدعوة الى سبيل الله وذلك اخذا من مفهوم آية التوبة (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم) ، ومن حديث (ان فى الاموال حقا سوى الزكاة) .

فالنظرية الاسلامية فى دور المال ومدى تاثيره فى مجتمع خاضع لنواميس الاقتصاد الاسلامي تؤكد عدم احقية الفرد — الا ضمن العمل من اجل المجموع — فى التصرف فى الاموال التي استخلف فيها ، وليس معنى هذا ان الاسلام ينكر الملكية الفردية او يناهض حقوقها او ينكر مدى اهميتها كعامل قوي فى اتاحة الفرصة لهذا الفرد كي يستخدم ملكاته التي قد تكون عظيمة فى استثمار راس المال التجاري ، واذ يؤكد الاسلام هذا يلح من جانب آخر ان لا تكون العوامل الاقتصادية مانعة الفرد او المجموع من القيام بالواجب الاكثر قداسة ، ونعني به القيم العالية للحياة نفسها ، هذه القيم التي توجب ان يكون الله وواجبه مقدما على كل واجب سواه مهما بدا هذا السوى — لقصيري النظر — خطيرا وذا بال .

والاسلام باعطائه — من جهة — الفرد كامل حريته فى استخدام قدرته الشخصية فى استثمار راس ماله التجاري مع ضمان حقوقه كفرد عامل لخير المجموع واشعاره فى نفس الوقت بمراعاة هذين الامرين : الاول انه وان يكن من الواجب عليه ان يركز كل اهتمامه وانتباهه فى العمل لكسب العيش فان الواجب يقضي ان يومن بان للحياة جوانب اخرى ذات قيم سامية تتلاشى امامها القيم المادية جملة وتفصيلا ، والثاني ان يومن ان

انظر البقية على الصفحة 36

آراء وأحاديث

مع الدكتور تقي الدين الهلالي

بعثت (دعوة الحق) مندوبها الى الفندق الملكي ، ليهنىء باسمها الدكتور تقي الدين الهلالي بسلامة الوصول الى ارض الوطن ، بعد غيبة طالت خمسا وثلاثين سنة ، وليبلغه متمنيات اسرة المجلة لسيادته بالمقام الطيب ، والصحة الكاملة .

وقد كتب مندوب المجلة بعد هذه المقابلة ما يلي :
دخلت على الدكتور تقي الدين غرفته بالفندق الملكي، فاذا انا امام شخص ، متواضع فى سمته وحديثه وحركاته ، بسيط فى مظهره ، يبداك بالسلام ، ويرحب بك ترحيبا يجعلك تحس من اول وهلة ان بينكما سابق معرفة ، ويحملك على ان تطرح التكلف ، وتتبسط فى الحديث ، وتتمتع بحريتك كاملة ، وتفتح قلبك كله لهذا الرجل الذي يتحدث اليك بقلبه قبل ان يتحدث اليك بلسانه . انه الدكتور تقي الدين الهلالي ، العالم الجليل ، والانسان المواضع ، والقلب الكبير .

آثرت فى الحديث الذي اجريته مع الدكتور تقي الدين الا اقيده باسئلة محدودة ، وانما تركت الحديث ياخذ مجراه الطبيعي، وتركت الاستاذ يتكلم على سجيته ولعلى اوفق فى ان اجمل لك خلاصة هذا الحديث هنا آملا ان تجد فيه من المتعة ، مثل ما وجدت انا فى الحديث الى الاستاذ .

الطالب تقي الدين :

كان الطالب تقي الدين الهلالي فى السادسة والعشرين من عمره عندما غادر المغرب الى مصر فى سنة 1922 وكانت غايته من الرحلة ان يطلب العلم ، وعلم الحديث على الخصوص ، وقصد الازهر ، ولكنه لم يجد بغيته فيه ، فانقطع عنه ، وتوثقت صلته بالشيخ رشيد رضا وتلامذته ، وفى المجالس الخاصة للشيخ رشيد رضا تفتق ذهن الطالب المغربي ، وبان فضله ، ورغبته فى العلم ، وحرصه على تحصيله مهما كلفه ذلك من جهد



او تضحية او مغامرة ، كما ان المناقشات الحادة التي كانت تجري فى مجالس الشيخ رشيد رضا كانت سببا فى نضجه الفكري ، وتحوله عن التقليد ، الى استعمال الفكر ، وطلب الادلة العقلية ، وعن التقديس المبالغ فيه للعلماء الاعلام والتسليم بكل ما يرد عنهم ، الى البحث الاستقلالي والترجيح ، والاعتماد على الادلة الاصولية والرجوع الى الكتاب والسنة . ومع ذلك فلا تزال فى النفس بقية ، ولا يزال الطالب الذي خرج من المغرب فى طلب علم الحديث ، يبحث عنه فلا يجد ما يشفي غلته منه .

همة تصحبها حماقة :

واخيرا قيل للطالب المغربي ، اذا كنت جادا فى طلب علم الحديث ، فعليك بالهند ، نعم الهند ، فهناك فقط تستطيع أن تجد بقية الاعلام من رجال الحديث . وبدأ الطالب المغربي استشاراته من اجل تنفيذ المغامرة ، وذكر يوما عزمه على السفر الى الهند بمحضر الشيخ محمد حمزة احد تلامذة الشيخ رشيد رضا ، فقال له الشيخ حمزة كلمة لا زال يذكرها الى اليوم : **هذه همة تصحبها حماقة .**

وكان معنى الحماقة هنا ، ان يفكر طالب فقير لا يجد عونا من احد ، فى السفر الى الهند ، فى وقت لم يكن يستطيع فيه التفكير فى سفر بعيد كهذا الا من كان يتوفر على ثروة طائلة او على الاقل على نصيب كبير من المال .

ومع ذلك فقد اصبحت الحماقة امرا واقعا ، وسافر تقي الدين الى الهند حيث مكث خمسة عشر شهرا ، تتلمذ خلالها لاعلام رجال الحديث كالشيخ عبد الرحمن المبارك بوري شارح الترمذي ، وقد ذكر الشيخ الهندي تلميذه المغربي فى آخر الجزء الرابع من كتابه .

الاستاذ تقي الدين :

فى طريق العودة من الهند ، مر تقي الدين الهلالي بالبصرة حيث قابل الشيخ محمد امين الشنجيطي ، وكان هذا رفيقا للشيخ ابي شعيب الدكالي فى مكة . وفى البصرة اتخذ تقي الدين اسرة لاول مرة ، واسست له مدرسة كان يدرس فيها العربية وعلوم الدين .

فى هذه الاثناء كان عبد العزيز بن سعود قد استولى على الحجاز ، وبتوصية من الشيخ رشيد رضا سافر تقي الدين الى مكة ، حيث حل ضيفا على عبد العزيز ابن سعود اربعة اشهر ، ثم عين مراقبا للمدرسين فى المسجد النبوي ، ومدرسا فى نفس الوقت ، وبعد سنتين انتقل الى المعهد السعودي استاذا للعربية والتفسير والحديث والتوحيد على طريقة اهل الحديث ، لا على طريقة اهل الكلام ، على حد تعبير الاستاذ نفسه .

فى الهند مرة اخرى :

لم يطب المقام للاستاذ تقي الدين كثيرا فى الحجاز ، فغادرها الى الهند مرة اخرى ، وكان ذلك بدعوة من (ندوة العلماء) فى الهند استدعته للتدريس فى كليتها ، ولا يزال الدكتور تقي الدين يذكر حتى الآن بعض تلامذته فى كلية ندوة العلماء ، ان منهم الاستاذ مسعود عالم الندوى مؤلف كتاب الضياء ، وعلي ابو الحسن الندوي ، والاستاذ محمد ناظم الندوي مدير جامعة (بهاون بول) فى باكستان .

الشهادة = جواز السفر :

ادرك الاستاذ تقي الدين ان الادب والعلم لا يمكن ان ينتفع بهما انتفاعا كاملا فى الشرق الاسلامي بدون شهادة من جامعة اوربية ، وهو يشبه هذه الشهادة بالنسبة للعالم بجواز السفر بالنسبة للمسافر ، فقد تكون رجلا معروفا بالفضل والخلق الكريم والبعد عن كل ما يشينك ، لكنك مع ذلك لا تستطيع ان تسافر بدون جواز سفر ، ان الامر كذلك بالنسبة للعالم فى الشرق العربي والاسلامي ، فالعلم وحده لا يكفي ، لابد من شهادة علمية من جامعة اوربية ، لابد من جواز مرور

وبثمانين دينارا فقط ، قرر تقي الدين المغامرة مرة اخرى ، فسافر الى جنيف بسويسرا حيث مكث شهرا كاملا فى ضيافة المرحوم شكيب ارسلان وكان ذلك فى سنة 1936 .

كان الطالب المغربي ينوي السفر الى بريطانيا لاتمام دراسته هناك ، وكان الذي يشجعه على ذلك انه كان تعلم اللغة الانجليزية اثناء مقامه بالهند لكن الاقامة والدراسة فى بريطانيا كانت تتطلب نفقات باهظة لم يكن تقي الدين يتوفر على شيء منها ، واخيرا كتب الى الامير عادل ارسلان ، وكان هذا الاخير مقيما اذ ذاك ببريطانيا ، كتب اليه يسأله :

كم يكلف فى بريطانيا القوت الذي يدفع الموت ؟
فاجابه الامير :
ــ ان القوت الذي يدفع الموت ، معناه فى هذه البلاد، الموت .

وهكذا اغلق باب بريطانيا فى وجه الطالب المغربي، لكن احد كبارالاساتذة الالمان، وهو الدكتور بريفر يزورالامير شكيب ، ويعلن له ان فى جامعة (بون) بالمانيا منصبا شاغرا لتدريس اللغة العربية ، فيرشح الامير شكيب لهذا المنصب صديقه تقي الدين .

فى المانيا :

سالت الدكتور تقي الدين عن اللغة التي كان يعلم بها طلابه فى المانيا فهل كان هؤلاء الطلبة الالمان فى مستوى من المعرفة باللغة العربية يمكنهم من تلقي المحاضرات بها ، واجابني الدكتور تقي الدين ، انه كان يشرح لهم النصوص العربية باللغة الانجليزية ، والطالب الالماني فى الجامعة مطلوب منه ان يكون قادرا على تلقي العلم بلغتين على الاقل الى جانب اللغة الالمانية ، وهاتان اللغتان هما غالبا الفرنسية والانجليزية .

لم يقتصر عمل الاستاذ تقي الدين فى المانيا على التدريس فى الجامعة ، بل انه شرع فورا فى تعلم اللغة الالمانية ، وقد استطاع ان يتقدم الى امتحان فيها اجتازه بنجاح ، ونال دبلوما فى اللغة الالمانية ، كما انه كان فى نفس الوقت يشتغل بالمشاركة مع بعض الاساتذة الالمان فى نقل بعض الكتب العربية الى اللغة الالمانية ، ككتاب (البلدان) لمحمد بن الفقيه البغدادي المتوفى سنة 300 هجرية وهو كتاب فى الجغرافية العالمية ، وكتاب طيف الخيال لمحمد بن دانيال الطبيب الموصلي .

وفى ظروف خاصة ، انتقل تقي الدين من بون الى برلين ، استاذا فى جامعتها ، ومرجعا للغة العربية فى الاذاعة . وفى برلين تقدم لنيل الدكتوراه ، وكانت رسالته عبارة عن ترجمة كتاب الجماهير فى الجواهر لابي الريحان محمد بن احمد البيروني ، مع التعليق عليها ، وقبلت الرسالة ، ونوقش تقي الدين امام لجنة من الاساتذة فى اللغة السريانية والعبرية والادب العربي، ونال اخيرا لقب الدكتوراه بدرجة حسن ، فكان بذلك اول مغربي يتخرج من جامعة برلين ، كما قال له البروفيسور كينل وهو يصافحه مهنئا بالنجاح .

وتحت ضغط ظروف خاصة ، لم يعد المقام فى المانيا طيبا كما كان من قبل بالنسبة للدكتور تقي الدين وحل فى هذه الاثناء بالمانيا مفتي فلسطين السيد امين الحسيني ، فساعد الدكتور تقي الدين على السفر الى الجزء الشمالي من المغرب ، واشترط عليه الاسبانيون لكي يسمحوا له بالمكث فى تطوان ــ بعد ان سحبوا منه جواز السفر ــ الا يذيع او يحاضر او يكتب شيئا الا بعد اطلاعهم عليه ، كما افهموه انه لا يستطيع ان يكتب حتى باسم مستعار والا كان معرضا لاقسى العقوبات .

مكث الدكتور تقي الدين فى تطوان الى سنة 1947 ثم سافر الى العراق وعين استاذا فى كلية الملكة عالية اولا ، ثم فى كلية دار المعلمين العليا ببغداد ، حيث لا زال يتابع عمله الى الآن .

سألت الدكتور تقي الدين : ما هي الارشادات التي ترغبون فى توجيهها الى القراء، والى الشباب بوجه خاص فاجاب : اولا التمسك بالاسلام . ان التدين لا يعني التاخر او الرجعية او ما الى ذلك من هذه الالفاظ التي نسمعها تلقى فى مجازفة وغير مبالاة ، واذا كان شبابنا يريد ان يزعم ان المانيا ــ مثلا ــ رجعية او متاخرة ، فانه حر فى ذلك ، لكن الواقع يكذبه ، ان احد ابناء الدكتور اديناور راهب معروف ، وان قسم اللاهوت فى كل جامعة المانية ، هو اقوى الاقسام نفوذا ، واكثرها تمتعا بالاحترام والتقدير ، والاساتذة جميعا يحضرون الصلوات، وكذلك رجال الحكومة، وعلى راسهم الدكتور اديناور نفسه .

ويجب ان يعلم شبابنا ان حكومة المانيا ــ وهي من انجح الحكومات ــ تنتمي الى الحزب الديموقراطي المسيحي، وهي تحكم المانيا منذ سنة 1948 وقد اجتهد الحزب الديموقراطي الاشتراكي كثيرا لاسقاطها فلم يوفق حتى الان ، وان كان هذا يدل على شيء ، فعلى مقدار تدين الشعب الالماني ، وحرصه على حكومته المتدينة .

على ان تغلغل الروح الدينية فى الشعب الالماني لا يحتاج الى دليل . ان كل متجول فى المانيا يلحظه بسهولة يلحظه فى اقبال جماهير الشعب على الكنائس فى ايام الآحاد وفى غير ذلك من المظاهر الدينية الاخرى .

ثانيا : انصح لكل طالب مغربي يفكر فى السفر الى الخارج لاتمام دراسته ، الا يتوجه الى الشرق العربي اذا كان يرغب فى دراسة العلوم التطبيقية التجريبية ، من طب وهندسة وصيدلة وما الى ذلك ، بل يتوجه الى احدى العواصم العلمية الاوربية ، كما اوجه النظر الى انه ينبغي ان يكون لنا فى كل عاصمة علمية لنا فيها طلبة، مشرف عليهم معين من طرف وزارة المعارف ، وذلك كما هو الشأن مع كل البعثات العلمية .

ثالثا : افضل بدل بعث الطلبة الى الجامعات فى الخارج تاسيس جامعة فى المغرب ، واستدعاء الاساتذة اليها من مختلف العواصم العلمية فى العالم . وهكذا لا تكون الفائدة مقصورة على الطالب وحده وانما تتعداه الى خلق جو علمي تستفيد منه البلاد كلها . وبعد انتهاء الدراسة الجامعية ، يكون الطالب قد نضج عقله ، وتم تكوينه ، وقل الخوف عليه من المؤثرات الخارجية التي قد لا تكون فى صالحه ولا فى صالح امته ، واذ ذاك يمكن بعثه الى الخارج للتمرين والاطلاع .

تابع للصفحة 15

فليس ذلك لان الطبيعة حبتهم بشيء زائد عما حبتنا به ، وانما لانهم مارسوا ذلك عدة سنين حتى تفوقوا فيه ، فى حين اننا اهملناه حتى عظم علينا امره فتهيبناه ثم حيل بيننا وبينه ، فاذا اخذناه عنهم اليوم ومهدنا له بالتقويم الخلقي ، وحصناه بامانة الاسلام ورعاية الضمير ، فلا شك اننا سنبلغ فيه ما لم يبلغوه، ولا شك ان تلك هي الغاية التي نوفد من اجلها طلبتنا الى البلاد الاجنبية ، والتي تجتلب لها حكومتنا الخبراء والفنيين بالاموال الباهضة لمساعدتها فى مشارعها .

وبعد فان توحيد التفكير فى الامة يساوي بين اتجاه افرادها ، ويقوي الثقة بينهم ، ويقضي على اختلاف نزعاتهم واهوائهم، ويقرب بين انظارهم وآرائهم ويمهد العذر للمسؤولين امام سائليهم ليساعدوهم فى المهمات ويهونوا عليهم الصعوبات ، وينقادوا للتعليمات دون ضغط او اكراه لاقتناعهم بانها فى صالحهم العام ، ومن ثم كان كل ما يؤدي الى هذه الغاية واجبا تتعين المبادرة اليه . والله الهادي والموفق .



ان مكارم السلف تنير طريق المجد للخلف وتحمل كل كريم المحتد على اقتفاء اثرهم واستكمال خصال مجدهم وشرفهم ، وهذا ما حدا بي الى الكتابة حول مواقف ولاة الحرم من حجيجه عبر التاريخ ، اذ تلك النكث تكشف لنا عن التقاليد الاسلامية والعربية فى هذا الموضوع حتى نعلم ما يليق ان يعامل به حجاج بيت الله وفق ما توحي به التقاليد المجيدة ، وبما أن الكتابة لمجلة سيارة لاتحتمل تسجيل كل مواقف ولاة الحرم ، فساكتفي بالاشارة الى نقط بارزة فى الموضوع ، واللبيب تكفيه الاشارة كما يقولون .

من الاخلاق الشائعة فى العرب قبل مجيىء الاسلام سرعة الانفعال والانفة من الضيم ومن كل ما يعد ماسا بالكرامة ، حتى ان بعضهم كان يئد بناته خوف العار والفضيحة والسبي . ومن طبعهم تعصبهم للقبيلة التي ينتسبون اليها ، ورغبتهم فى نصرتها ظالمة كانت او مظلومة ، وكثيرا ما شبت الحروب بينهم لاتفه الاسباب نتيجة الدعوة القبلية ، وقد نهاهم النبي عنها فقال : (دعوها فانها منتنة) . الا انهم مع ذلك فيهم خصال الوفاء والكرم وحماية الجوار ، ورغم انهم لم يكن لهم نظام ثابت للحكم ، فقد عظم الله فى قلوبهم حرمة البيت حتى كان من التجا اليه آمنا ، وتعاهدوا فى حلف الفضول على نصرة كل مظلوم فى مكة ، وزين الله فى قلوبهم حرمة زمان اعتمار البيت وحجه حتى جعلوا اربعة اشهر من كل عام اشهرا حرما لا تقع فيها حرب ولا يوخذ فيها بثار ، ومن كان بعيدا عن الحرم واراد اللجوء اليه فى مدة الاشهر الحرم امكنه ذلك ، فكان الامن عاما فى هذه الاشهر ، وحرية التنقل مضمونة باقرار هذه القاعدة لكل فرد ، واقامة شعائر الحج فى البيت العتيق على ما كان فيها من الشرك ومجافاة الاداب متيسرة لكل قاصد، بل كان ولاة الامر فى الجاهلية والاسلام يعتبرون حجاج البيت ضيوف الله نزلوا على اهل حرمه ، فكانوا يسقونهم ويطعمونهم ويهيئون لهم الماوى للاقامة حتى يتفرغوا لاقامة شعائر الحج ومناسكه وشان طعامهم وشرابهم وماواهم موكول الى الولاة القائمين على امر هذا البيت العتيق ، قال عبد الملك بن هشام المتوفى بمصر سنة 213 هجرية فى سيرته النبوية : (وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من اموالها الى قصي بن كلاب (احد اجداد النبي) ليصنع به طعاما للحاج فياكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين امرهم به (يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته واهل الحرم ، وان الحجاج ضيف الله واهله وزوار بيته ، وهم احق بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا ايام الحج حتى يصدروا عنكم)) ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من اموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس ايام منى ، فجرى ذلك من امره فى الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ، ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج)

اما فيما يتعلق بماوى الحجيج زمن الحج فقد كانت فى عهود الاسلام الاولى نفس دور مكة تمتلىء بالحجيج فيشاركون ساكني مكة فى سكناهم مدة الحج فقد قال ابوبكر بن العربي فى كتابه احكام القرآن روى علقمة بن نضلة قال : توفى النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وما نرى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن ، وقد نقل ابن العربي حق المشاركة فى هذه السكنى بواسطة ابن وهب وابن القاسم عن نفس الامام مالك لما سئل عن التسوية فى قول الله (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ثم قال ابن العربي المسالة الخامسة فى المعنى الذي فيه التسوية وفيه قولان ، احدهما فى دوره ومنازله ، ليس المقيم اولى بها من الطارىء عليها ، هذا قول مجاهد ومالك كما تقدم وغيره . والثاني انهما فى الحق سواء والحرمة والنسك ، والصحيح عموم التسوية فى ذلك كله كما قال مالك ، وعليه حمله عمر بن الخطاب فقد روى انه كان يامر فى الموسم بقلع ابواب دور مكة ، حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شاء)

وهذا العمل او الامر من عمر قد ينافي حق الملكية المعترف بها في الشريعة ولوازمها من حق التصرف في كل منافع الرقاب المملوكة الا اذا ذهبنا على ان مكة فتحت عنوة فتكون دورها للمسلمين عامة . وقد اختار ابن العربي انها فتحت عنوة الا ان النبي من على اهلها في انفسهم فسموا الطلقاء ، ومن عليهم في اموالهم حيث امر مناديه فنادى من اغلق بابه فهو آمن ، قال ابن العربي فتركهم في منازلهم على احوالهم من غير تغيير عليهم ، لكن الناس اذا كثروا واردين عليهم شاركوهم بحكم الحاجة الى ذلك ، وقد روي نافع عن ابن عمر ان عمر كان نهى ان تغلق مكة زمن الحاج وان الناس كانوا ينزلون منها حيثما وجدوا فارغا حتى كانوا يضربون الفساطيط في جوف الدور .

فهذه الحاجة قد اباحت للحجيج ان يشاركوا اهل الدور في مأواهم الزائد عن حاجتهم بغير عوض يدفعونه عن منافع هذا المأوى وقد يعتبر هذا العمل كصنيع بعض الحكومات التي تحجز حجزا موقتا سيارات او اماكن لاجل المصلحة العامة والحج في نظر المسلمين وحاجة الحجاج اولى بالاعتبار في نظر المسلمين من تلك المصالح التي تحجز من اجلها بعض حكومات العصر بعض الممتلكات حجزا موقتا .

وهذا العمل يوافق سماحة الدين واخوته التي عقدها بين المسلمين ، وما كان الدين الاسلامي الكريم الذي اختار الله رسوله من بين العرب الكرام الا ليزيدهم تثبيتا لكرمهم ومواساتهم واحسانهم ، ويزيدنا يقينا باهتمام النبي بالمواساة ، وبهذه التقاليد العربية المجيدة، ان جماعة من الاعراب سائحين حلوا بالمدينة زمن عيد الاضحى ، فنهى النبي عليه السلام الناس عن اكل لحوم الضحايا بعد ثلاث ، ففي صحيح مسلم عن عائشة : دف اهل ابيات من اهل البادية حضرة الاضحى زمن رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقي) وقال فيما بعد انما نهيتكم من اجل الدافة التي دفت فكلوا وادخروا وتصدقوا) .

وكذلك كان الشأن في عمرة رجب عند اهل مكة يحتفلون ويطعمون . فقد ذكر الرحالة المغربي ابن بطوطة ان اهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لم يعهد مثله ، ويسمون هذه العمرة ، العمرة الاكمية باسم اكمة يحرمون منها . قال والاصل في هذه العمرة ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج ماشيا حافيا معتمرا ، ومعه اهل مكة ، وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه على ثنية الحجون الى المعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح ، فبقيت تلك العمرة سنة عند اهل مكة الى هذا العهد (كان ابن بطوطة يعيش في القرن الثامن) وكان يوم عبد الله مذكورا اهدى فيه بدنا كثيرة واهدى اشراف مكة واهل الاستطاعة منهم ، واقاموا اياما يطعمون شكرا لله تعالى على ما وهبهم من التيسير والمعونة في بناء بيته الكريم على الصفة التي كان عليها في ايام الخليل صلوات الله عليه .

ومما يؤيد استمرار عادة اطعام الحجيج وسقيهم ان ابن بطوطة ، بعد احرامه من رابغ ، مر بعقبة تسمى عقبة السويق ، قال والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستصحبونه من مصر والشام برسم ذلك ، ويسقونه الناس مخلطا بالسكر ، والامراء يملأون منه الاحواض ويسقونها الناس .

نعم كان في بعض ملوك المسلمين تجاه الكعبة وحجاج بيت الله شذوذ حملتهم عليه سياستهم الجموح التي تنكروا معها لما يقضي به العقل بل تنكروا لما يفرضه الاسلام في اهم اسسه وقواعده ، فهذا ابو جعفر المنصور كانت دعوتهم في الفرس قائمة على التشيع لآل البيت من غير تعيين ، وكان بنو هاشم على ما قيل انتخبوا في اواخر دولة بني امية محمد بن عبد الله المعروف بالمهدي وبالنفس الزكية وبايعوه بالخلافة وكان من جملة المبايعين ، ابو جعفر المنصور ، فلما جاءت الدولة العباسية لم يبايع محمد لابي العباس ولا لاخيه ابي جعفر فكان امره شغل المنصور الشاغل ، وحتى لا تتطلع نفوس الفرس الى غير العباسيين زين له بعضهم احداث بناء يكون الحج اليه بدل الكعبة ، فبنى القبة الخضراء ، ونكل ببني الحسن ، فقام محمد النفس الزكية الذي كان مختفيا فاستولى على المدينة وقال خطبته (ايها الناس انه كان من امرنا وامر الطاغية عدو الله ابي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في مكة ، وتصغيرا للكعبة الحرام) وقد استفتي الامام مالك في الخروج مع محمد وقبل له في اعناقنا بيعة للمنصور فقال : انما بايعتم مكرهين) واكثر الرواة على ان مالكا ضرب في محنته بسبب هذه الفتوى على ان هذه القبة الخضراء لم يتيسر لها حج وانما سجل بها ابو جعفر تهوره وفساد مسعاه فيما يتعلق بركن من اركان الاسلام ، وكانه اقتفى طريقة ابرهة الحبشي الذي بنى الكنيسة المعروفة بالقليس باليمن واراد ان يصرف اليها وجوه العرب بدل الكعبة فان المنصور هو الذي باع انقاض تلك الكنيسة حسبما سجله السهيلي في كتاب الروض الانف ، فابطل الله سعي ابرهة وابي جعفر جميعا ، وصح القول بان ماكان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل . وان كان ابن بطوطة ذكر ان المنصور اراد ان يعيد بناء الكعبة

الى بناء ابن الزبير بعد ان هدمه الحجاج فنهاه مالك رحمه الله عن ذلك ، وقال يا امير المومنين : لا تجعل البيت ملعبة للملوك متى اراد احد ان يغيره فعل . فتركه على حاله سدا للذريعة. فلعله تاب مما كان صنع وقد كان المنصور ضيق على اهل المدينة حتى قطع عنهم الميرة في البحر اي المواد الغذائية الا ان ابنه المهدي تلافى تضييق ابيه فوسع المسجد الحرام وبقي اسمه مكتوبا بهذا الاصلاح على جدارها حتى شهده ابن بطوطة اول القرن الثامن ، وكان هذا التوسيع سنة 167 هجرية وكسى المهدي الكعبة كسوة جديدة وفرق من المال في اهل الحرمين حسبما سجل في احصاء تاريخ التمدن الاسلامي ثلاثين ميلونا درهما وخمسمائة الف دينار ومائة وخمسين الف ثوب ، واتخذ حرسا من الانصار عددهم 500 رجل حملهم معه الى بغداد واقطعهم الارضين ، وامر بحفر نهر الصلة بواسط واحيى ما عليه من الارضين ، وجعل غلته لصلات اهل الحرمين والنفقات هناك .

وهذا يبين لنا موردا هاما للطعام الذي يصنعه السلطان حسبما مر عن سيرة ابن هشام .

ومثل ما وقع للمنصور في شان التنكر لبيت الله وقع لسليله المعتصم عند ما اصطنع الاتراك واعتمد عليهم في تثبيت قدمه في الملك ، فاراد ان يستغني عن بلاد العرب جميعا ، وكان قد بنى سامرا بقرب بغداد واقام فيها جنده ، فانشا فيها كعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منى وعرفات نحر به امراء كانوا معه لما طلبوا الحج خشية ان يفارقوه (1)

واذا بلغ الشعور بدين الاسلام في نفس الملوك من الضعف الى درجة العبث بالمقدسات ووجد في الوسط المنسوب للاسلام امكانيات قبول هذا العبث فان معنوية الامة تتفكك او على الاقل تفقد الثقة بالملوك الحاكمين باسم الخلافة الاسلامية وهذا من العوامل المهمة مع العوامل الاخرى التي جعلت عصر المعتصم يتسم في التاريخ بانه مبدأ عصر الانحطاط في الدولة العباسية .

اما العناية بحجاج بيت الله وسكان الحرمين فيما عدا هذا الشذوذ فكان في نمو وازدهار ولم تزده مرور الايام الا تثبيتا ، وان كثرة الاوقاف على الحرمين الشريفين شرقا وغربا لاعظم دليل على ذلك وقد كان ولا يزال من عادة الملوك والامراء ، تقديم الهدايا كل عام الى القاطنين بالحرمين وبالاولى تقديم غلات اوقاف الحرمين ، وكانت مصر تحتفل في تشييع ركب الحاج وبعث المحمل وغلات اوقاف الحرمين ، احتفالا يبلغ صداه الى مختلف الاقطار . ومن آخر المبرات في هذا المعنى وقف السكة الحديدية الحجازية وقفا اسلاميا خالصا لمساعدة حجاج بيت الله من طرف الشعوب الاسلامية واعيان الامة المحمدية ، وبالخصوص تركيا التي كانت تتزعم الخلافة الاسلامية .

موقف الدول الاسلامية الآن من الحجاج :

ويجمل بنا بعد الاشارة الى مواقف بعض ولاة المسلمين من حجاج بيت الله ان نشير الى ان ولاة المسلمين اليوم انما يعيشون في اعقاب مواقف اسلافهم من غير عناية جديدة ولا تنظيم لاكرام ضيوف الله وزوار بيته ولا تهيىء ماوى لهم طبق التقاليد التي مر عليها اسلافنا الاولون ، وهذا لا يجمل بعصر النهوض الحالي فان جميع ولاة المسلمين ينبغي ان يتعاونوا على تسهيل الحج على جميع المسلمين الضعفاء ، لان الحج ركن وقاعدة من اهم قواعد الاسلام .

وبما ان اوقاف الحرمين منتشرة في كثير من البلاد الاسلامية فالاليق ان يقع احصاؤها والعناية بها ، وتعقد الدول الاسلامية مؤتمرا عاما تقرر فيه تسهيل وسائل الحج واطعام الحجيج وتهييء الماوى لهم في نفس البلاد المقدسة . واذا كانت الخلافة العثمانية سعت بجد في مختلف الشعوب التي كانت تابعة لها حتى تم انشاء السكة الحديدية الحجازية ، ووقفها ، فيجمل بالدول الاسلامية ان تهتم وتتم ما بداه المسلمون في العهد الاول الى انشاء وقف السكة الحديدية .

هذه فكرة ارجو ان يعيرها ولاة المسلمين ومفكروهم نصيبا من عنايتهم ، فان التعاون عليها من ابرز مظاهر تعاون المسلمين ، ومن اهم ما يقوي بينهم روابط التعارف الاسلامي .

ولا استبعد اذا صاروا في هذا الاتجاه، ونظموا السكة الحديدية لفائدة الحجاج ، ان ياتي يوم تقوى فيه الملاحة بين الدول الاسلامية وتعظم قواتهم البحرية فياتي دور تحبيس السفن على نقل الحجاج والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

تابع للصفحة 10

من مكاره ويحدق به من اخطار ، فيتعين على كل مسلم ان يفكر جديا في مستقبل الاسلام واماطة ما في طريق تمكنه من اذى واشواك ، وانه لامر من الله لمن اصبح في مثل حالنا ان يبادر الى نصرته ونصرة رسوله وكتابه (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) .

---

1) المقدسي بواسطة تاريخ التمدن الاسلامي

صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور

للأستاذ : عبد القادر الصحراوي

في الفصلين السابقين عرضنا بعض النصوص التاريخية الواردة في موضوع استنجاد صلاح الدين الايوبي بيعقوب المنصور ، اثناء الحروب المعروفة تاريخيا باسم الحروب الصليبية ، وقلنا انها لا تعدو ان تكون حربا عدوانية توسيعية ، وانها لم تكن في الحقيقة الا حملات عسكرية لتاسيس امارات لاتينية في سورية وفلسطين، كما يقول المؤرخ الانجليزي استيفن سن .

بقي علينا ان نعرف شيئا عن السبب المباشر لهذه الحروب .

واذا كان ذلك سيضطرنا الى ان نقف وقفة قصيرة ، او نخطو خطوة اخرى الى الوراء ، فانه سيساعدنا على تصور القضية التي نحن بصددها تصورا صحيحا ، وسيساعدنا ايضا على فهم طبيعة هذه الحروب التي لا نريد ان نسميها صليبية ، الا لانها عرفت بذلك في التاريخ .

كان العالم الاسلامي في الشرق تتنازعه خلافتان ، وصلتا معا الى الدرك الأسفل من الهوان والضعف ، هما الخلافة العباسية في بغداد ، والخلافة الفاطمية في القاهرة ، ولم يكن قد بقي لهما من الخلافة الا اسمها وبعض مظاهرها اما السلطة العملية، فقد كانت بيد امراء من جنسيات مختلفة ، توزعوا العالم العربي والأسلامي فيما بينهم . كانوا هم ايضا في الحقيقة امراء اقطاع بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، يستمدون وجودهم الشرعي من اعتراف الخلافة بهم ، مقابل حمايتهم لها او عدم خروجهم عليها على الاقل ،ويعتمدون في حماية وجودهم الفعلي على قواهم الحربية ، وعلى قدرتهم على المخاتلة والدس والكيد والخيانة .

وفجاة ، وفي غمرة هذا الانحلال والضعف والتفرقة ، يتسرب الى الاسلام ، ومن بعيد جدا ، دم آخر حار جديد لم تفسده المدنية ، ولم تعبث به الاهواء والنزوات والاطماع الرخيصة ، فتنتعش الدولة الاسلامية، وتفيق من غفوتها الطويلة ، لتسترد اراضيها التي كانت اغتصبتها منها في فترات الضعف الدولة البيزنطية ، او الدولة الرومانية الشرقية التي كانت لا تزال موجودة حتى ذلك الحين ، تدافع عن عاصمتها القسطنطينية ضد المسلمين ، وتغتنم فترات ضعفهم ، لتسترد منهم ما امكنها استرداده مما انتزعوه منها من مستعمراتها في الشرق ، وتقاوم من جهة اخرى محاولات الكنيسة الغربية للاستيلاء عليها واخضاعها لنفوذها .

انحدر الى الاسلام هذا الدم الحار الجديد من تركستان وهي منطقة في آسيا الوسطى ، بين سيبيريا وبحر قزوين ، وايران وافغانستان والهند ، وكان قد ظهر فيها زعيم يدعى سلجوق ، كان هو راس قومه المعروفين باسم الغز .

وقد عرف الغز الاسلام لاول مرة غزاة فاتحين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اعتنقوه في حماسة نادرة المثال ، واستمروا مع ذلك في زحفهم يكتسحون الامارات الصغيرة التي تعترض طريقهم من اسلامية وغيرها ، حتى وصلوا الى بغداد ، واتصلوا بالخليفة العباسي ، وعرضوا عليه حمايتهم مقابل اعترافه لهم بالسلطنة ، وهكذا ظهرت في العالم الاسلامي دولة فتية ، وقوية ايضا ، هي الدولة السلجوقية ، نسبة الى زعيمها الاول سلجوق الغزي .

وبزعامة الامراء السلاجقة وتحت قيادتهم استطاع المسلمون ان يستردوا من الدولة البيزنطية الرومانية ، اراضيهم التي كانت قد اغتصبتها منهم ، وان يكتسحوا مستعمراتها في آسيا الصغرى ، وان يهددوا عاصمتها القسطنطينية ، وهنا لا يجد الامبراطور البيزنطي بدا من ان يلجأ مكرها الى الكنيسة الغربية يستنجد بها، فيبعث

رسله في سنة 1094 الى البابا ازبانوس الثاني ، ويجدها هذا فرصة مواتية للتدخل، ولاخضاع الكنيسة الشرقية الى سلطانه ، فيلقي في سنة 1095 خطبته الشهيرة المتقدمة ، يستنهض بها باسم الدين ، همم الامم المسيحية الغربية لقطع دابر الكفار والبرابرة !!! وتجد الصرخة آذانا صاغية فتتوالى الحملات على الشرق الاسلامي العربي برا وبحرا من فرنسا واللورين وايطاليا وصقلية وانجلترا والمانيا وغيرها ، فتسقط تباعا في ايدي الصليبيين سواحل سورية ولبنان وفلسطين وكثير من مدنها الداخلية ، ويحتلون بيت المقدس ، وتتكون في الشرق امارات ومستعمرات لاتينية متعددة ويمضي على ابتداء الحملة الصليبية الاولى نحو من اثنين وثلاثين سنة ، قبل ان يظهر في شمال سورية امير سلجوقي وقائد حربي عظيم هو عماد الدين زنكي، الذي استطاع هو وابنه نور الدين محمود من بعده ، ان يقفا في وجه الزحف الصليبي ، وان يستردا من الصليبيين بعض المدن السورية .

وبشتد ساعد نور الدين محمود فيطمع في ملك مصر، وعليها اذ ذاك الخليفة العاضد ، آخر الخلفاء الفاطميين، وينجح نور الدين في ان يفرض على الخليفة الفاطمي ، وزيرا سلجوقيا ، شابا في الثلاثين من عمره ، طموحا في تواضع ، يبدو عليه الذكاء، كما يغلب الحياء على مظهره، هذا الشاب المتواضع ، او ذلك الوزير الخطير الطموح ، هو الذي سيعرفه التاريخ فيما بعد باسم الناصر لدين الله الامير يوسف بن ايوب صلاح الدين .

وبموت العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بعد سنتين ليخلو الجو لصلاح الدين وحده، وليصبح وحده صاحب الكلمة في مصر ، لا يخاف على سلطانه الا من ولي نعمته نور الدين محمود ، وتبدو بوادر من نور الدين تحتم على صلاح الدين الايوبي ان يفكر جديا في الاحتياط لنفسه ويهديه تفكيره الى ان عليه ان يفتح بعض البلاد لتكون له معقلا من رئيسه اذا ما حاول المكر به ، ويجب ان تكون هذه البلاد المفتوحة ، او هذا المعقل بعيدا جدا، حتى لا تصل اليه يدا نور الدين محمود .

وهكذا فتح صلاح الدين اليمن في جنوب بلاد العرب، وهكذا ايضا أرسل جيشا تحت قيادة ابن اخيه تقي الدين ليفتح له بعض بلاد المغرب .

وهنا يبدأ ما سبق ان ذكرناه من تعليل امتناع يعقوب المنصور عن نجدة صلاح الدين ببعض الخلافات على الحدود .

فنحن نعلم ان الامبراطورية المغربية على عهد يعقوب المنصور كانت تمتد من البحر المحيط غربا الى برقة شرقا ، اي ان حدودها كانت متاخمة لحدود مصر .

وبالفعل فقد بعث صلاح الدين للمغرب العربي ابن اخيه تقي الدين غازيا ، لكن يبدو ان تقي الدين لم يوغل كثيرا في المغرب ، وانما ترك انجاز هذه المهمة لاحد مواليه وقادته العسكريين شرف الدين قراقوش ، الذي وصل في غزوه الى طرابلس الغرب ، ويعرف هذا القائد في التاريخ باسم قراقوش التقوي نسبة الى تقي الدين بن اخ صلاح الدين الايوبي ، وهو غير بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين ، الذي تعرفه اليوم المسارح المصرية كشخصية هزلية ، طريفة في سخفها وفي دكتاتوريتها المضحكة .

مهما يكن فقد بدأ الصراع بالفعل بين الدولة الايوبية والدولة الموحدية ، وكلف هذا الصراع الدولة الموحدية غاليا ، لانها لم تكن متفرغة له ، بل كانت مشغولة هي ايضا بحروب اخرى صليبية في شمال الاندلس .

وعندما كان يعقوب المنصور على وشك ان يغلب الفونس الثامن ملك قشتالة على طليطلة عاصمة ملكه ، ويعيدها الى الاسلام ، حملت اليه الانباء خبر قراقوش وحلفائه من العرب وبني غانية في شرق الاندلس .

اما قراقوش فقد عرفنا امره ، واما حلفاؤه العرب فهم بنو هلال ، الذين كان الفاطميون قد رحلوهم الى الاندلس لاسباب سياسية ، واما بنو غانية فقد كانوا عمالا لدولة المرابطين على جزائر البليار ، ميورقة ، ومنورقة ، وبابسة . وظلوا على ولائهم للمرابطين حتى بعد انقراض دولتهم في المغرب ، وقيام دولة الموحدين على انقاضها ، وقد اشتبكوا في معارك دامية مع الموحدين في جزائر البليار نفسها . فلما غلبوا على امرهم فروا الى الناحية الشرقية من المغرب العربي ، حيث ظلوا يناوئون الموحدين ، وحيث تحالفوا من بعد ، هم والعرب الهلاليون، وقراقوش التقوي، على حرب يعقوب المنصور والافساد عليه .

يقول ابن خلدون عند الحديث عن قراقوش التقوي : **(وكان من خبره ان صلاح الدين صاحب مصر ، بعث تقي الدين ابن اخيه شاه الى المغرب لافتتاح ما امكنه من مدينة تكون له معقلا يتحصن فيه من مطالبة نور الدين بن زنكي صاحب الشام ... الى ان يقول : فاما قراقوش فلحق سشرية ، وخطب فيها لصلاح الدين ولاخيه تقي الدين ، وكتب لهما بفتح زويلة (من اعمال ليبيا) ولم يزل يفتح البلاد الى ان وصل الى طرابلس ، ولما وصل ابن غانية الى طرابلس ، ولقي قراقوش ، اتفقا على المظاهرة على الموحدين) .**

وقد ورد فى هامش طبعة مصر الاخيرة لكتاب المعجب ، فى صفحة 273 : (**كان العرب يؤازرون بني غانية فى هذه المعارك بينهم وبين الموحدين ، كما يوازرهم الغز من المماليك المصريين .**)

وورد فيه ايضا فى صفحة 283 : (**كان ابو يوسف ـ يعقوب المنصور ـ فيما يروي اهل التاريخ ، موشكا ان يغلب الادفونش ـ الفونس الثامن ـ ملك قشتالة على طليطلة عاصمة ملكه ، ويعيدها الى الاسلام وانما حمله على قبول الهدنة ، ما بلغه من حركة ابن غانية فى افريقية مع قراقوش الايوبي .**)

ولم يقف الامر عند هذا الحد ،لم يقف تاثير حركة قراقوش وحلفائه من العرب وبني غانية على حمل يعقوب المنصور على التضحية بانتصاره على الفونس الثامن ، وانما تعداه الى اكثر من ذلك ، فقد لقي يعقوب عنتا كبيرا فى حرب قراقوش وحلفائه ، وتحمل من اجل القضاء على حركتهم تضحيات كثيرة فقد هزموه اولا ، وشردوا جيشه ، لكنه اعاد عليهم الكرة ثانية فتمكن من ان يهزمهم ويقضي على حركتهم .

وهنا لم يجد قراقوش ومن معه من الغز ، الا ان يستسلموا ليعقوب المنصور ، وان يستأمنوه ، ولما راى يعقوب ما هم عليه من الشجاعة والنجدة والمقدرة على القتال ، فضل ان يعفو عنهم ، ويحتفظ بهم الى جانبه ، بل ويستخدمهم فى حروبه .

وليس من الصعب علينا ان نتصور ، ان هؤلاء الموالي بعد ان غلبوا على أمرهم ، وبعد ان عوملوا هذه المعاملة الكريمة ، سيحاولون بكل الوسائل ان يتنصلوا من جرمهم ، وان يلقوا التبعة كلها على رؤسائهم الذين بعثوهم الى المغرب ، وكلفوهم بانجاز المهمة التي قدموا غازين من اجلها ، وهؤلاء الرؤساء طبعا ، هم صلاح الدين الايوبي ، وابن اخيه تقي الدين .

لم ينجح اذن مسعى صلاح الدين فى المغرب ، ولكن المنصور لم يستطع ان ينساها له ، بل ان التاريخ ليحدثنا ان المنصور كان يفكر بالفعل ، فى غزو مصر ، وذلك حيث يقول عبد الواحد المراكشي :**فبلغني عن غير واحد منهم ، انه ـ يعقوب المنصور ـ صرح بالرحلة الى المشرق ، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ، ويقول : نحن ان شاء الله مطهروها .**)

اذن فقد كان التوتر بالغا مداه بين الدولة الايوبية فى مصر وسورية ، وبين دولة الموحدين فى المغرب ، ولعل هذا من اهم الاسباب التي حالت بين المنصور وبين نجدة صلاح الدين حينما استنجد به من بعد ، بل ان لدينا من النصوص التاريخية ما يثبت ان صلاح الدين الايوبي وحاشيته كانو يتوقعون منذ البداية ، او يخافون على الاقل ، ان يخفق فى مهمته الرسول الذي بعثوه للاستنجاد بيعقوب المنصور ، نظرا لما فعله فى اطراف المغرب من قبل مولاهم وقائدهم العسكري قراقوش التقوي ، ولعل النص التالي كاف فى الدلالة على ذلك ، فقد احتفظ لنا شهاب الدين المقدسي فى كتابه (الروضتين فى اخبار الدولتين) بنصوص تاريخية مهمة فى الموضوع ، من بينها رسالة بعثها القاضي الفاضل رئيس ديوان صلاح الدين الايوبي الى عبد الرحمان بن منقذ ، رسول صلاح الدين الى يعقوب المنصور ، وذلك عندما طال مقام ابن منقذ بالمغرب ، واصبحت الدولة الايوبية تخشى ان يكون ذلك بسبب بعض الصعوبات التي لقيها فى مهمته ، وكان من بين الصعوبات التي افترضها القاضي الفاضل ما سبق من غزو قراقوش التقوي لاطراف المغرب .

بعث القاضي الفاضل هذه الرسالة الى عبد الرحمن ابن منقذ يلقنه بعض الاجوبة التي قد يكون فى حاجة اليها ، للرد على اعتراضات يعقوب المنصور او اعتذاراته اما النص المقصود بالذات فهو قول القاضي الفاضل فى هذه الرسالة : (**وان سئل « اي عبد الرحمن بن منقذ » عن المملوكين يوزبا وقراقوش وذكر ما فعلا فى اطراف المغرب ، بمن معهما من نفايات الرجال ، الذين نفتهم مقامات القتال ، فيعلمهم ان المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والامراء ، ولا من المعدودين فى الطواشية والاولياء ، وانما كسدت سوقهما ، وتبعتهما الفاف من امثالهما . والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها ، وكثرت جموعها ، خرج منها وانضاف اليها ، ما لايظهر مزيدها ولا نقصها . ولا كان هذان المملوكان ممن اذا غاب احضر ، ولا ممن اذا فقد افتقد، ولا يقدر فى مثلهما انه ممن يستطيع نكاية ، ولا ياتي بما يوجب شكوى من جناية ، ومعاذ الله ان نامر مفسدا بان يفسد فى الارض ، ان اريد الا الاصلاح ما استطعت .**)

لعل هذا النص صريح فيما ذهبنا اليه من ان الدولة الايوبية كانت تتوقع او تخشى منذ البداية الا يستجيب يعقوب المنصور لاستنجادها به ، نظرا للحروب التي كانت بين الدولتين على الحدود الشرقية للامبراطورية المغربية ، تلك الحروب التي ارادت الدولة الايوبية ان تلقى وزرها على قراقوش التقوي ، لا باعتباره قائدا عسكريا لها ، ولكن باعتباره خارجا على دولته ، متصرفا

انظر البقية على الصفحة 36

من أصداء (دعوة الحق)

كان لبزوغ دعوة الحق فى منهجها الاصلاحي ، وقيامها بسد الفراغ الفكري المخيم على الجو المغربي صدى طيب عبق اريجه وجاوز القطر المغربي ووصلت نفحاته الى سائر الدول العربية والاسلامية وان الرسائل الواردة علينا من سائر الجهات والتقدير الذي قوبلت به المجلة بين سائر الاوساط ليحفز بنا الى مواصلة العمل حتى تؤدي المجلة رسالتها وتقوم بواجبها على الوجه الاكمل .

ومن بين الرسائل التي بين ايدينا رسالة للسيد محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية بالباكستان نقتطف منها الفقرات التالية .

لقد كان خبر استقلال المغرب سرنا وسر كل مؤمن فى مشارق الارض ومغاربها ، وقد زادنا بهجة وسرورا ما علمنا من خطابكم الكريم من اعتزام وزارتكم العالية على اصدار مجلة شهرية دينية باسم (دعوة الحق) وعسى أن يكون عددها الاول قد صدر فى شهر مايو الماضي، فندعو الله تعالى ان يبارك فيها ويوفقها للقيام بمهمتها خير قيام ويجعلها بحق منار الدعوة الاسلامية واحسن وسيلة لعودة مجد الاسلام ورونقة لا فى ربوع المغرب العربي فقط ولكن فى سائر اقطار العالم الاسلامي ايضا ويوفق كل دولة مسلمة فى الارض تقفو آثار مملكتكم الشريفة والسير على منوالها فى بدء مثل هذه المشاريع النافعة .

وتوصلنا بكلمة من السيد احمد ابن حسين نورد منها ما ياتي .

ومن دواعي الغبطة والسرور ان ننصت الى صوت جديد يدوي فى ارجاء البلاد يدعو الى الحق والخير والجمال، وان نشاهد مصباحا جديدا يبدد ظلمات الجهل وينير معالم الطريق الى العلم والعرفان ، ويبشر برسالة الاصلاح والنهضة والبعث والتجديد.

وان مما كان يخجلنا حقا ويملأ نفوسنا حسرة ما كنا نتهم به من عقم فكري ، ومن فقر فى الانتاج العلمي والادبي بوجه عام ، وهذا حق لامرية فيه ولا خلاف ، فلقد كنا ولا زلنا نعتمد فى غدائنا الفكري على ماينتجه اخواننا الشرقيون، وان من العجائب ان يكون لبضعة آلاف من المهاجرين العرب فى الاقطار الاميركية من الصحف والمجلات ووسائل النشر والانتاج ما ليس لملايين من اخوانهم فى المغرب، ولكن حجتنا القاهرة فى ذلك هي العراقيل التي كان يضعها الاستعمار فى طريق حرية الفكر والتعبير ، ومن الثابت ان الاستعمار والاستبداد لا يمكن ان تقوم للفكر معهما قائمة ، وما عاناه اخواننا فى الشرق من ويلات الاستعمار وطغيانه لا يذكر اذا قورن بما تكبده المغرب العربي من محن وخطوب . (ولا زال جزء من أهم اجزائه يتجرع غصص الآلام والكوارث صباح مساء) .

واليوم وقد ازيح كابوس الاستعمار عن كاهلنا وانتشر ظل الحرية الوارف على ربوعنا يجب ان تتظافر جهودنا لخلق حركة علمية ادبية واسعة، تكون المجلات والصحف لسانها الناطق ولواءها الخافق ، حتى يمكننا ان ننافس الشرق ونضاهيه ، ونتعاون معه فى اعادة بناء صرح الثقافة العربية وفى احياء مجد الفكر العربي .

وان من الخير لنا وللانسانية كافة ان يعاد بناء ذلك الصرح الشامخ ، الذي كان ملجأ وملاذا للثقافات الانسانية الاولى اثناء العصور الوسطى آوت اليه واعتصمت به قرونا طويلة فحرسها ورعاها ، واوصلها امانة غالية لعالمنا الحاضر ، بعد ما افرغها فى قالبه واسبغ عليها من روحه ، واضاف اليها الكثير من الدرر .

وان تاثير الفكر العربي والحضارة الاسلامية فى ثقافات الامم المختلفة لتاثير بين واضح ، اثبته البحث وايده العلم ، وشهد به العدو قبل الصديق .

ويكفي ان نعلم ان نصف لغة الفرس والترك اصله عربي ، وربع لغة الاسبانيين محرف عن العربية وما من امة من امم الغرب او الشرق الا وفى لغتها وثقافتها وحضارتها نصيب كبير او صغير من ثقافة العرب ولغة العرب وحضارة الاسلام يكفي ان نعلم ذلك لتهتز اعطافنا وتنتشي نفوسنا ، وتنتعش عزائمنا لاسترجاع العز الضائع والمجد المفقود .



كان شهر غشت المنصرم شهرا مثقلا بالاحداث الجسام في الداخل والخارج ، ولم يكن ذهاب جلالة الملك للاستجمام بضعة ايام - ليجعل الركود يخيم على المصالح الحكومية كما يقع عادة عند امم اخرى في مثل هذا الفصل ، بل حرص على ان لا يتغيب جميع الوزراء عن العاصمة ، وامر بان لا يتمتعوا برخصهم السنوية كاملة : نظرا للمشاكل العديدة التي تواجهها البلاد ، وطبقا لهذه الارادة السامية فان الوزراء تغيبوا عن العاصمة بالتناوب ولمدة بضعة ايام فقط .

وقد افتتح في اوله المعهد الصيفي الدولي اشغاله بتوملين ، بخطاب قيم القاه سمو الامير مولاي الحسن وحضره ما يزيد على مائتي عالم يمثلون ستا وعشرين دولة من بينهم كبار الفلاسفة والمفكرين والقيت فيه محاضرات ذات اهمية كبرى تناولت جوانب كثيرة من التفكير الانساني، ومن جملتها محاضرة الاميرة عائشة عن تطور المراة المغربية ، وبعد ما اختتم المؤتمرون اشغالهم حضروا الى الرباط حيث استقبلهم جلالة الملك قبل صلاة جمعة يوم 23 غشت ، وتحدث اليهم عن سماحة الاسلام وفضائله السامية .

واحتفل المغرب خلال هذا الشهر بثلاث ذكريات قومية عزيزة ؛ ذكرى وقعة وادي المخازن (4 غشت) التي انتصر فيها الجيش المغربي على الجيش البرتغالي ، وذكرى مولد الملك (10 غشت) ، وذكرى ثورة الملك والشعب (20 غشت) ، وقد جرت الذكرى الاولى في دائرة محدودة لم تتعد مكان المعركة والقبائل المحيطة به ، ووقعت الثانية في بساطة تامة وقوفا عند رغبة صاحب الجلالة الذي اراد الا تتجشم الامة مشاق ، وتبذل نفقات في مولده ، واما الثالثة فانها جرت في نطاق واسع شمل البلاد كلها ، وامتازت بنقل جثمان الشهيد علال بن عبد الله من القبر الوضيع المجهول الذي اراده له الاستعمار الى القبر الرفيع المعروف الذي اراده له الاستقلال ، كما امتاز بالخطاب القيم الذي القاه جلالة الملك فمجد فيه الشهداء ، وقرر مبدا اطلاق اسمائهم على شوارع المدن وساحاتها ، وعزم حكومته على ان تحوط بالعناية كل من ساهموا في المقاومة والتحرير ، منذ بدات الحركة السياسية في المغرب الى ان اخرج منه الاستعمار مذموما مدحورا .

واجتازت العلائق بين المغرب من جهة ، وفرنسا واسبانيا من جهة اخرى مراحل صعبة خلال هذا الشهر . ودخلت في مآزق حرجة ، اما التوتر بين فرنسا والمغرب فكان حول شروط اتفاقية الاستيطان التي ظهر بوضوح ان الفرنسيين يرمون من ورائها الى فرض معاهد حماية اقتصادية ، وقد اشعر وزير الخارجية ، المكلف بشؤون سفارة فرنسا بالرباط ان المغرب لايمكنه ان يمضي في المفاوضات قدما الى الامام بعدما اشتط الفرنسيون في الطلب وتراجعوا عما وقع الاتفاق عليه بين الخبراء ، وانعقد مجلس وزاري بالوليدية صدر على اثره بلاغ حازم يؤكد عزم جلالة الملك على المحافظة على حرية المغرب واستقلاله ، وفي الحين اوفدت الحكومة الفرنسية الكولونيل طويا الى الرباط لاصلاح ذات البين، وكان من نتائج تردده على الرباط تسمية سفير مغربي بباريس ، والغاء تاشيرة السفر بين البلدين ، وسفر وفد المفاوضات المغربي الى باريس ، واما المصاعب مع اسبانيا فترجع الى موقفها المتعنت من قضية ايفني ، وعدم اقرارها بالحق القاضي بعودة هذا العضو من جسم المغرب اليه ، وقد استدعي السفير المغربي بمدريد الى الى الرباط حيث كلفه جلالة الملك بلفت نظر الحكومة الاسبانية الى خطورة الحالة وتنبيهها الى ما يخلفه موقفها من آثار سيئة في نفوس المغاربة .

وسافر وزير الخارجية الى ماليزيا عبر اوربا وآسيا للحضور في استقلالها ، وقد حمل معه خطابات من جلالة الملك الى ملوك ورؤساء الدول التي مربها ، واجرى في كل من روما وطهران وكراتشي ودلهي وجاكارطا محادثات ذات اهمية كبرى حول الشؤون العالمية ، واكتست محادثاته بروما صبغة خاصة لانها تناولت الهدف الذي يرمي الى قيام تعاون اقتصادي وثقافي

وسياسي بين دول البحر المتوسط ولا سيما دول حوضه الغربي .

وبجانب هذا الوجه من النشاط فان المغرب ما زال سائرا فى طريق البناء والانشاء والتنظيم ، فقد توبعت الاعمال فى طريق الوحدة ، وعاد الضباط من الخارج ، ووزعوا على وحداتهم المرابطة بمختلف الجهات، واتخذت تدابير اقتصادية ونقدية من شانها ان تنمي الصادرات وتحمي ثروة البلاد ، واعلن عن اكتشاف الغاز البترولي بناحية الصويرة ، ووصلت بعثة من الخبراء الصناعيين الايطاليين لدراسة امكانيات المغرب، ووضع التصميمات لجعله بلدا صناعيا من الطراز الاول .

واذا تركنا المغرب جانبا وابتعدنا عنه قليلا الى الخارج وجدنا المعركة فى القطر الجزائري الشقيق ، فالقتل والتشريد والتخريب وانتهاك الاعراض وكبت الحريات اصبحت شعار الحركات والسكنات هناك وقد حدثت مجازر رهيبة خلال ذلك الشهر هناك سيما بندرومة وتلمسان كما امعن الفرنسيون فى قتل المسلمين ، وتقدر دوائر لاكوست ان عدد من يموت منهم فى كل اسبوع يبلغ ثمانمائة ، اما فى الميدان السياسي فان حكومة باريس بدات تستعجل من امرها ما كانت تستأجل ، انتظارا للقضاء النهائي على الثورة ، فقد اقترب ميقات اجتماع الامم المتحدة ، واصبح لزاما على فرنسا أن تواجه الضمير العالمي الممثل فيها ، والمستنكر لخططها الحربية، وافكارها الجامدة ، ولذلك شرعوا فى باريس يحررون نظاما اساسيا يعرضونه على الهيئة الاممية برهانا على روحهم التحررية ، وقد اجتمع الوزراء الفرنسيون يوم 21 غشت لوضع المشروع فى قالبه النهائي . ويتلخص المشروع فى تقسيم الجزائر الى عدة نواحي ، يكون لكل ناحية مجلسان تشريعي وتنفيذي ثم يتكون اتحاد فيدرالي بين هذه المجالس بانشاء مجلسين آخرين بين العاصمة الجزائرية ، ومحكمة للفصل فى الخلافات بين هذه النواحي يكون مقرها بباريس ، وستكون الجزائر فرنسية ، ممثلة فى المجالس الدستورية بباريس، ويكون على راس المجالس التنفيذية موظف فرنسي حتما ، اما المجالس التشريعية فستنظر فى الشؤون المحلية كقضايا الاسعار والاجور وتوزيع المياه بين الفلاحين ، اما الخارجية والجيش والشرطة والمالية والاقتصاد والبريد والتعليم والعدلية فهي من اختصاصات السيادة الفرنسية .

وتغلبت قوات صاحبة الجلالة البريطانية على الاحرار الذين كان يقودهم امام عمان ، ودخل الجيش الانجليزي الى نزوة بعد ما دكها سلاحه الجوي هي وعدد من الحصون بقنابله الثقيلة ، وانتقلت المقاومة الآن الى الجبل الاخضر الذي يعتصم به الامام واتباعه، وقد طلبت الدول العربية اجتماع مجلس الامن للنظر فى الاعتداء الانجليزي فرفض الطلب لانه لم يحصل الا على اربعة اصوات من احد عشر صوتا ، وستعرض القضية على الاجتماع العام للامم المتحدة فى دورته المقبلة .

وعاد الى دمشق السيد خالد العظم وزير الدفاع السوري وزميله صلاح الدين البيطار بعدما امضيا اتفاقيات تجارية مع الاتحاد السوفياتي ، والجمهورية التشيكوسلوفاكية ، وقد استطاع الوزيران أن يحصلا على اعانات مالية وحربية وفنية من ذينك البلدين الشيوعيين بدون قيد ولا شرط ، وفى الحين ثارت ثائرة الدول الغربية ومن يسبح فى فلكها من الدول الشرقية الضعيفة ، سيما بعد اكتشاف مؤامرة امريكية كانت ترمي الى قلب نظام الحكم فى سوريا وضمها الى مبدأ ايزنهاور وبالتالي الى حلف بغداد ، واتهم الجنرال اديب الشيشكلي والكولونيل ابراهيم الحسيني الملحق العسكري بسفارة سوريا بروما بالعمل لحساب الامريكيين ، واعلنت سوريا ان بعض الديبلوماسيين الامريكيين اصبح بقاؤهم غير مرغوب فيه ، فردت امريكا على ذلك بطرد السفير السوري فريد زين الدين من واشنطون ، وشنت صحافة الغرب واذاعاته حملات عنيفة على النظام القائم فى دمشق واصبح الكولونيل عبد الناصر فى نظرها رجل الحكم والاعتدال ، وصورت سوريا بصورة التابع الوضيع للاتحاد السوفياتي وكان اكثرها حردا واشدها ضراوة صحافة فرنسا التي بلغ بها الهوس الى حد الزعم بان آلافا من الروسيين وصلوا بالفعل الى سوريا واخذوا مراكزهم فى الخطوط الامامية المواجهة لتركيا واسرائيل ، وحتى كتابة هذه الاسطر استطاع السوريون ان يحتفظوا بزمام الحالة بين ايديهم، ولكن المؤامرات ما زالت تحبك سواء فى نيويورك او على ضفاف البوسفور ، ولا يمكن من الآن التنبؤ بما سيسفر عنه المستقبل القريب او البعيد .

وواصلت اللجنة الدولية لنزع السلاح اجتماعاتها خلال هذا الشهر فى مجادلات اكاديمية عقيمة ، وكلما تقدم الروس بمشروع تقدم الغربيون بآخر معاكس ، ومن المؤكد ان الاجتماعات الحالية لن تسفر عن نتيجة ايجابية، لان سوء النية يخيم على المؤتمر العتيد المجتمع فى عاصمة الانجليز ، وسيكون على الامم المتحدة ان تنظر فى المسألة من نقطة البداية اثناء اجتماعها فى شهر شتنبر المقبل .

ولن يصل هذا العدد الى القراء حتى تكون دولة ماليزيا دخلت فى عداد الامم المستقلة ، وتعززت بها كتلة الافارقة والاسيويين ، ولا جرم ان هذه الدولة ستواجه مشكلة من اعظم مشاكل استقلالها ، اعني القضاء على الثورة الشيوعية التي اقضت مضاجع الانجليز ولم يستطيعوا التغلب عليها منذ نهاية الحرب الماضية رغم ما يبذلون من مال وعتاد ، واخشى ما يخشى على استقلال هذه الدولة ان تتقدم امريكا لملء الفراغ الحاصل بانسحاب الانجليز فيحدث فيها ما حدث فى الفيتنام وكوريا من حرب ثم انقسام .

تابع للصفحة 23

اقصى حريته تلك فاقدة المفعول عندما تتعارض والمصلحة العليا لمجموع الامة ، واعطائه من جهة اخرى للمجموع رقابة صارمة على الفرد حتى لا يتعدى حدود ونطاق حريته التي يجب ان تستمد وجودها من المجموع وان تنصهر فى حرية هذا المجموع ، باعطائه ذلك يقيم الاسلام اعظم توازن اقتصادي يقي مجتمعاته من شرور ما يسمى بحرب الطبقات ويبعد عن محيطه سيطرة الراسمالية المنكرة فى عنف حقوق الجماعة على الفرد ، ويبعد فى الوقت نفسه جحود وكفر الشيوعية التي تشل حرية الفرد وتجعله تافها .

والاسلام اخيرا بنظمه تلك يضع حدا لجرائم الغنى ومفاسد البطر والترف الناتجة عن غرور المال ، ويوقف تيار الجرائم الناتجة عن الفقر هذه الجرائم التي تعد فى الحقيقة والواقع رد فعل على جرائم الغنى وانعدام التوازن الاقتصادي فى المجموع لهذا وامثاله يوجب الاسلام العناية بالمسالة الاقتصادية على فكرة ضمان الطبقات الحاكمة جميع ما تحتاجه الطبقات المحكومة بجعل مستواها العلمي والصحي والمادي كفيلا بابعاد الياس والسام عن ارواحهم وجديرا بادخال المسرات الى نفوسهم وقلوبهم ، كل ذلك فى دائرة الايمان بضرورة العمل على مراعاة غايات الحياة السامية واغراضها المشتركة الكبرى ويدخل ضمن هذه الضمانة :

اولا : تيسير اسباب العمل للقادرين عليه ومساعدة العاجزين .

ثانيا : ضمان الدولة حق العمال والصناع والزراع قبل اصحاب الاعمال لدرجة تضمن لاولئك حريتهم الشخصية التامة واستقلالها الكامل ، وتكفل لهم بعد ذلك الحياة الكريمة المعقولة ضمن الاطار العام للدولة الاسلامية . . .

للحديث صلة

تابع للصفحة 32

بغير امرها ، ويبدو من اسلوب النص ان ماورد فيه لا يمكن ان يكون شرحا للحقيقة بقدر ما هو تنصل واعتذار .

ومهما يكن ، فان كل هذا لا يكفي فى نظرنا لتبرير موقف المنصور ، فقد كانت حاجة العالم العربي الاسلامي الى التكتل اما هذه الحرب العدوانية التي شنها عليه الغرب باجمعه باسم الدين ، اكبر من ان تقف الى جانبها هذه الاعتبارات الخاصة ، او هذه الخلافات ، التي لا يخلو منها عصر من العصور بين كل دولتين او امبراطوريتين مشتركتي الحدود .

اننا لا نزال عند راينا الاول فى ادانة يعقوب المنصور، ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نحاول شرح موقفه ما امكن. لا لتبريره ، ولكن لمجرد الشرح ، وسنتحدث فى الفصل المقبل ان شاء الله عن حقيقة التعليل التاريخي التقليدي لموقف المنصور ، ذلك التعليل الذي يقول : ان يعقوب المنصور لم يستجب لنداء صلاح الدين لانه لم يخاطبه بامير المؤمنين .

يتبع

فهرس العدد الثالث

وادي زيز احد اودية الصحراء المغربية

